مجلة شهرية

Issue No: 176 عدد:

April 2022 شهر نيسان

نـــــور المسيـــــح

ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

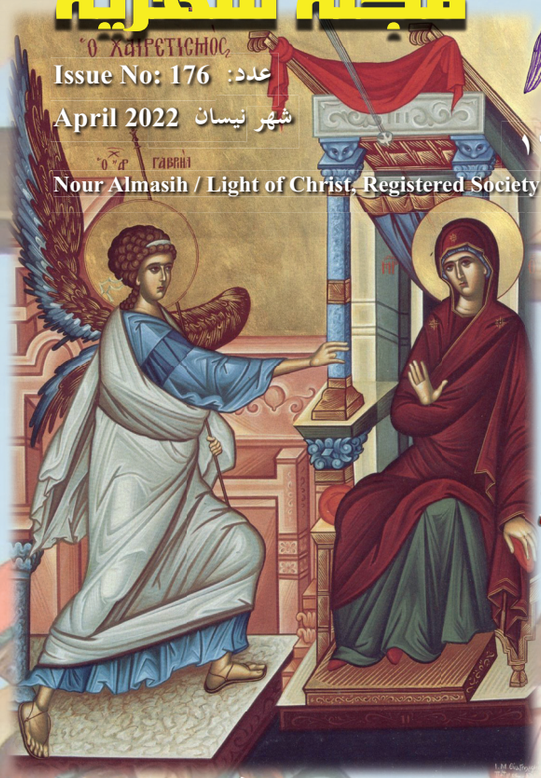

بشارة العذراء مريم

دخول السيِّد المسيح إلى أورشليم

«لأَنَّهُ هكَذَا
أَحَبَّ اللهُ الْعَالَم
حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ
لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ
كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ،
بَلْ تَكُونُ لَهُ
الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.»
(يو 3: 16)

الله محبَّة

المسيح قام
من بين الأموات
ووطِىءَ الموت
بالموت،
ووهب الحياةَ
للذين
في القبور

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة مديح سيّدتنا والدة الإله الدئمة البتولية مريم

(أكاثيستوس - المديح الذي لا يُجلس فيه)

«إنَّ الملاكَ المتُقدم أُرسِلَ منَ السماءِ ليقولَ لوالدةِ الإلهِ: افرحي. فلمَّا عاينكَ يا ربُّ متجسِّدًا مع الصوت غير المتجسد ذُهِلَ ووقف صارخًا لها هكذا: إفرحي يا من بها يشرق السرور. إفرحي يا من بها تضمحلّ اللعنة. إفرحي يا آستعادة آدم الساقط. إفرحي يا نجاة حواء من ٱلبكاءِ والنحيب».

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح،

أيها المسيحيون الأتقياء،

إنّ كنيستنا الأرثوذكسيّة المقدسة كأمٍّ رؤُوم وحنون تدعونا للمشاركة في العيد الكلّي البهاء، عيد **قيامة ربنا إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح**. لهذا فقد وضعت وحدَّدت الصوم الأربعينيّ الكبير المقدس قبل عيد الفصح. وذلك لأن الصوم بحسب **مُرَنِّم الكنيسة**: «هو رُكن العفاف، مبكّت الخطيئة ومساعد التوبة، سيرة الملائكة وخلاص البشر». ولهذا فقد صارت **العذراء مريم**، مساعدةً ومشاركةً في عمل خلاص البشر فأصبحت وعاءً وإناءً مختارًا **للرُّوح القُدُس**، أو بالأحرى علينا أن نقول إنها أصبحت **والدة الإله أمُ إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح**.

إنَّ تجسُّد **كلمة الله من الرُّوح القُدُس** وتأنُّسَهُ من **دماء النقية العذراء مريم الممتلئة نعمة**، قد **خلَّص** طبيعتنا البشرية من **اللَّعنة القديمة** بسبب **سقوط حواء الأم الأولى، والتي من خلال عِصيانها دخلت الخطيئة وبالتالي دخل الموت إلى العالم**.

وبكلامٍ آخر وبحسب **القديس مكسيموس المعترف** إنَّ العذراء مريم الفائقة البركات «قد وَلَدَتْ الابن المتجسد كلمة الله، وصنعت على الأرض سِرّ إعادة جِبِلَّةِ جنسنا البشريّ وخلاص العالم أجمع، الذي هو ربنا وإلهنا يسوع المسيح، والَّذي جمع ووحَّد المتفرقين في ذاته، وَمَحَى خطيئة العالم». فلهذا السبب نرى **مُرَنِّمَ الكنيسة** يهتِفُ **للعذراء مريم والدة الاله** عبر فم الملاك قائلًا «إفْرَحِي يا من بها يُشْرِقُ ٱلسُّرور.»، «إفْرَحِي يَا مَنْ بِهَا تَضْمَحِلُّ ٱللَّعْنَةُ (الخطيئة).»، «إفْرَحِي يَا ٱسْتِعَادَةَ آدَمَ السَّاقِطِ»، «إفْرَحِي يَا نَجَاةَ حَوَّاءَ مِنَ ٱلْبُكَاءِ وَٱلنَّحِيبِ».

إنَّ **ربنا يسوع المسيح** ومن خلال عمل الفداء الذي تَمَّمَهُ بِإِراقَةِ دَمِهِ الكريم على الصليب، وقيامتهِ من بين الأموات قد أنهض معه طبيعة آدم **الساقط**، أي أقامنا معه في طبيعتهِ البشرية المُتَأَلِّهَةِ فقد **ظهر المسيح** بقيامتهِ بأنهُ آدم الجديد أي الإنسان الجديد وأمَّا **العذراء مريم والدة الإله فهي حواء الجديدة**، حواء الطاعة، لمشيئة **الله الآب** لأنَّ **مريم** قالت لرئيس الملائكة جبرائيل: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ» ولهذا السبب يهتف مرنم الكنيسة قائلًا:«إِفْرَحِي يَا مَنْ بِهَا تَتَجَدَّدُ ٱلْخَلِيقَةُ».

إنّ كنيستنا الأرثوذكسيَّة تُوَقِّرُ وتكرِّمُ بشدةٍ **شخص الفائقة القداسة العذراء مريم والدة الإله** وذلك لأنّهُ بدون مشاركتها في سِرِّ التدبير الإلهي لخلاص جنس البشر – **أي لولا بشارتها من رئيس الملائكة جبرائيل بغنى المسيح الذي لا يُستَقصى** – كان سيبقى هذا السرُّ مخفيًّا علينا نحن البشر كما يَكرزُ **القديس بولس الرسول** الذي «بِإِعْلاَنٍ عَرَّفَ بِهذا السِّرِّ» (أف٣:٣) إذ يقول: «لِي أَنَا أَصْغَرَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، أُعْطِيَتْ هذِهِ النِّعْمَةُ، أَنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ الأُمَمِ بِغِنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لاَ يُسْتَقْصَى، وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. لِكَيْ يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ، بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ، حَسَبَ قَصْدِ الدُّهُورِ الَّذِي صَنَعَهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.» (أف٣ :٨-١١)

والكنيسة والتي هي أيضًا بحسب القديس بولس الرسول هي «جسد المسيح السرّي» (كول١ :٢٤) ، «والمسيح هُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ أي الْكَنِيسَةِ.» (كول١ :١٨)، وهذا يعني كما أنَّ **المسيح كلمة الله** غير المتجسد قد **أخذ جسدًا من العذراء مريم**، فهكذا فإنَّ الكنيسة تأخذُ مكانتها وكيانها في العالم **من الفائقة القداسة والدة الإله العذراء مريم** والتي يُعظِمُها **القديس يوحنا الدمشقي** بِهُتَافٍ قائلًا:« إفرحي أيتها السيدة والدة الإله الذي منها تجسد لأجلنا غير المتجسد

وأصبح الأزليَّ منك له بدايةٌ وغيرُ المحدود في مكانٍ يوسعُ فيكِ».

وبكلامٍ آخر أيُّها الإخوة الأحبة **إنَّ والدة الإله وأمّ إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح**، لا تُعرف بأنها فقط **أم يسوع المسيح** بل هي أيضًا **أمّ الكنيسة**. لأنَّنَا نحن بِفَضْلِكِ وقد دُعينا باسم **شعب المسيح**، **شعبُ ابنكِ وإلهكِ**، فافرحي لأنه بِسَبَبِكِ أصبحنا أعضاءَ **في الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية**.

إنَّ **كنيسة المسيح** وشعبهُ يفرحُ **للممتلئة نعمة والدة الإله** وذلك لأنها تشفعُ فينا على الدوام عند ابنها وإلهها من أجل جميع الذين يلتجئون إلى دالَّتها الوالديّة وحمايتها وَعَضَدِهَا « فيا والدة الإله يا ذات كل تسبيحٍ. الأقدس من الشاروبيم والأعلى من السماوات. بِكِ نعترفُ مُقرِّين بالحقيقة نحنُ الخطأة. فنمتلكُ خلاصًا وعضدًا لنا في المِحَنِ والتجارب. فلا تفتُري مبتهلةً من أجلنا يا ثبات وملجأ نفوسنا».

ختامًا نتضرَّع إلى **والدة الإله** ذات كل تسبيحٍ والأقدس من الشاروبيم لكي تشملنا جميعًا تحت ستر **حمايتها الوالدية** وأن نجوز ميدان الصوم الأربعينيّ الكبير **بتوبة وصحةٍ وعافيةٍ نفسية** وأن يؤهلنا لفرح وقوَّة نور القيامة الذي لا يعروهُ مساءٌ، قيامة **ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح** إلى الأبد.آمين.

الصَّوم هو الَّذي يَلِدُ الأنبياء وَيَشُدُّ الرِّجال بالعزم. هو الَّذي يفقّه المشترعين ويحرِسُ النفوس.

هو أوفى صديق وأشدُّ سلاح للشجعان الأبطال هو رياضة المصارعين من أجل نيل الظفر والنعمة بالغلبة في الجهاد **ضدَّ الشَّهوة واللَّذات**.

إحْذَرْ أنْ تصوم فقط عن اللحم وتفتكر أنَّ هذا هو كُلّ ما يُطلب منك. إنَّ الصَّومَ الحقيقيّ **هو الامتناع عن كل رذيلة:**

إبعدوا عن كل أثم أولًا، ثمَّ: «حَلَّ قُيُودِ الشَّرِّ. فَكَّ عُقَدِ النِّيرِ، وَإِطْلاَقَ الْمَسْحُوقِينَ أَحْرَارًا، وَقَطْعَ كُلِّ نِيرٍ.» (إشعياء ٥٨:٦). وأيضًا **مغفرة كُلِّ إساءة للقريب؛ هو ترك الديون للمحتاجين**: لا تصوموا لكي **تُخاصِموا وتترافعوا لدى المحاكم.**

إنَّكَ ربُّما لا تأكل لحما **ولكنك تنهش أخاك**. إنَّكَ تمتنع عن شرب الخمر ولكنك **لا تلجم الشهوات التي تلتهب في نفسك.**

إنَّكَ تنتظر حتى المساء لتأكل بعد الصيام، **ولكنك تلبث كل النهار في المحاكم لأجل المخاصمة. الويل للذين تُسْكرهم الشهوة وليس الخمر**. «لِذلِكَ اسْمَعِي هذَا أَيَّتُهَا الْبَائِسَةُ وَالسَّكْرَى وَلَيْسَ بِالْخَمْرِ. » (إشعياء ٥١: ٢١).

إنَّ **الغضب هو سُكْر حقيقي في النفس لأنه يبلبلها. إن الكآبة هي سُكْر لأنَّها تُطفئ نور العقل وتطمس النور فيه.**

والخوف هو سُكْر لأنه يجعلنا نرتجف دون مبرر: أنقذني **يا ربُّ** من غضب أعدائي. «أُسترني من تقلُّب الأشرار ومن كثرة العاملي الظلم» (مز٦٣:٢).

بالعموم **كُلّ شهوة تزرع في النفس الاضطراب والبلبال هي سُكْرٌ.**

لست أعني بالصوم ترك الطعام الضروري لأن هذا يؤدي إلى الموت.

ولكن أعني ترك المأكل الذي يجلب لنا اللَّذة ويسبب تَمَرُّدَ الجسد.

قد تكون هناك أشياء كثيرة ليس فيها خطيئة ومع ذلك يجب أن نصوم عنها إذا كان في ذلك ربح لنا وللآخرين.«حَسَنٌ أَنْ لاَ تَأْكُلَ لَحْمًا وَلاَ تَشْرَبَ خَمْرًا وَلاَ شَيْئًا يَصْطَدِمُ بِهِ أَخُوكَ أَوْ يَعْثُرُ أَوْ يَضْعُفُ.» (رومية ١٤: ٢١).

وأخيرا تأمَّل في المسيح سيِّدك وربك. إنَّهُ صام لكي يعلمنا أن الصوم هو طريق الملكوت.

العذراء دائمة البتولية:

لا مِرَاءَ في أنَّ الأسرار الإلهية مُحْتَجَبَةٌ. وليس هيِّنًا لامرئٍ مهما كان، أن يَبلُغَ إلى إدراك مقاصد الله كقول النبي أشعياء: «مَنْ قَاسَ رُوحَ الرَّبِّ، وَمَنْ مُشِيرُهُ يُعَلِّمُهُ؟» (إش٤٠: ١٣). ومع ذلك فَجُمْلَةَ أعمال وتعاليم ربنا ومخلِّصنا تجعلنا نُدرك أنَّ الله في تدبيره المُحْكَمِ تمامًا، حَسَنًا اختار تلك التي خُطِبَت لرجل من أجل تتميم ميلاد الرَّبّ. ولكن لماذا لم تَصِر مريم أُمًّا قبل خطبتهما؟

✝ ربما لكي لا يجرؤ أحدٌ على أنْ يقول إنَّها حملت بالزنا، والكتاب واضح في الإشارة إلى هٰذين الأمرين: إنها كانت مخطوبة، وعذراء: عذراء، الأمر الذي يُظهرها معصومة من كل علاقة بِرَجُل؛ ومخطوبة، لكي تتجنَّب أيَّةَ شُبهةٍ لعذراوية مفقودة، تلك التي كان الحَبَل سيُظهر فقدانها. وشاءَ الرَّبّ أن يَدَع البعض يشكُّون في نَسَبِهِ (أي نَسَب الطفل المولود منها) أفضل من الشكِّ في أُمِّه. فهو (أي الرَّب يسوع) كان يعرف كَمْ شَرَفُ عذراءَ ما أمرٌ حسَّاس، وكم إنَّ سمعة طهارتها قابلة للانثلام، ولم يُقَرِّر أمرُ إثبات نَسَبِهِ على حساب أُمِّه.

وهكذا حُفِظَت بتولية القديسة مريم دون أن تكون على حساب طهارتها، ودون أن تبلغ إلى المَساسِ بسمعتها؛ لأن القديسين يجب أن تكون لهم «شَهَادَةٌ حَسَنَةٌ مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ» (١تي٣: ٧)، ولم يكن لائقًا أنْ تُترك حُجَّةٌ أو عُذْرٌ لِمَن يسلك طَريق الطهارة.

✝ ولسنا نغفل سببًا آخرَ. فبتولية مريم كان ينبغي أن تخدع رئيس هذا العالم، الذي لم يجرؤ على الشكِّ في ولادتها إذ رآها متَّحِدَةً برجلٍ. ويُعلن كلام الرَّبّ نفسه أنَّهُ كان يقصد ذلك في مواضع متعددة (مت ١٦: ٢٠؛ ٨: ٤؛ لو ٤: ٣٥؛ ١كو ٢: ٧)، لقد خَدَعَهُ كيما يَقْهَرَهُ.

فلا نعجبنَّ إنْ كان الكتاب يدعوها دائمًا امرأة. فهذا لا يُعبِّر عن فقدان بتوليتها، بل شهادة لخطبتها وللتعبير عن اقترانها. وكَوْن يوسف قد أراد تخليتها (سِرًّا)، فهذا إقرارٌ بأنَّهُ قد اتخذها امرأة لأنه لا يُشَهِّر أحد بإنسانَةٍ، ما لم يكن قد اتخذها له.

العذراء نموذج للعذارى:

✝ وحسنًا كانت مريم امرأة وعذراء، حيث إنها ترمز إلى الكنيسة التي بلا عيب وهي عروسة. فهي كعذراء حبلت بنا بالرُّوح القُدُس، وكعذراء تَلِدُنَا بلا أَلَمْ. لقد قال لها الملاك: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». «فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ» (لو١: ٢٨-٢٩). اعرفوا العذراء من سلوكها، اعرفوا العذراء من اتضاعها، اعرفوا العذراء من كلامها، اعرفوا العذراء مِنَ السِّرِّ...

✝ لقد خافت مريم حتى من تحية الملاك، وفكَّرت «مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ التَّحِيَّةُ!» فكَّرت بتواضعٍ، لأنها كانت مضطربة وبفطنةٍ، لأنها كانت مندهشة من هذه الصيغة الجديدة للبرَكَة، التي لم يُسمع عنها قطُّ، ولم يتلقَّها أحدٌ قطُّ حتى ذلك الزمان. لقد حُفِظَ هذا السلام لمريم وحدها، فهي وحدها التي دُعيت بحقٍّ ممتلئة نعمة، إذ قد نالت وحدها هذه النعمة التي لم يَنَلها أحدٌ غيرها قطُّ، أنْ يملأها صانع النعمة.

✝ هكذا خجلت مريم، كما خجلت أليصابات من قبلها أيضًا. ولكن لنعلم إذنْ، ماذا يُميِّز اتضاع أليصابات عن اتضاع العذراء؟ «وَبَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ حَبِلَتْ أَلِيصَابَاتُ امْرَأَتُهُ، وَأَخْفَتْ نَفْسَهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ...» (لو١: ٢٤)، فأليصابات خجلت وهناك ما يدعو لخجلها كونها حبلت وهي متقدِّمةٌ في أيامها؛. أمَّا هذه (أي العذراء) فقد خجلت من فرط اتضاعها. فبالنسبة للمرأة هناك حدٌّ لحيائها؛ أما بالنسبة للعذراء فالحياء يزيدها جمالًا.

موقف مريم من بشارة الملاك:

✝ وإنْ لم نُمعن النظر في الأمر فقد يبدو لنا هنا أنَّ العذراء لم تُصدِّق، إذ قالت: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟» (لو١: ٣٤). ولكن من غير المعقول أن تُخْتَار فتاةٌ لتلد ابن الله الوحيد وهي غير مُصدِّقة. فماذا يكون العمل إذنْ، ونحن نعلم جيِّدًا كرامة الأُم التي كانت تستحق بالتأكيد أعظم اعتبار؟ وإذ هي كذلك فعلًا كان ينبغي أن يضمن لها أيضًا هذا الاعتبار، إذ أنَّ زكريا حُكِمَ عليه بالصمت لأنه لم يُصدِّق (لو١: ٢٠)، ومريم التي لم تُصدِّق (استفسرت) شُرِّفت بحلول الرُّوح القُدُس عليها! ولكن مريم ما كانت لترفض التصديق ولا أن تقع في الاستخفاف بالأمر، فرفضُ تصديق الملاك يُعتبر شكًّا في الأمور الإلهيَّة. إلَّا أنَّهُ لم يكن من السَّهل إدراك

«السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ» (في الله) (أف ٣: ٩؛ كو ١: ٢٦) الذي لم يُعرَّف به حتى القوات السماوية، ومع ذلك فهي لم ترفض الإيمان به ولا التنصُّل من دورها فيه، بل أخضعت إرادتها ووعدت بخدمته، لأنها بقولها: «كَيْفَ يَكُونُ لِي هذَا ؟» (لو ١: ٣٤) لم تشكَّ في فاعليته، بل طلبت توضيح كيفيَّة هذه الفاعليَّة.

✝ وكم كانت هذه الإجابة أكثر اتزانًا من كلام زكريا الكاهن! فهو قد قال: «كَيْفَ أَعْلَمُ هذَا؟» أمَّا هي فتساءلت: «كَيْفَ يَكُونُ لِي هذَا ؟» إنه (أي زكريا) يُعلِن **عدم** التصديق فيما هو يُعلِن **عدم** المعرفة، وبدا كأنه يبحث أيضًا عن ضمانة أخرى لكي يُؤمن؛ أمَّا هي فتُعلن أنَّها مستعدة للتصديق ولا تشكُّ في أنه يمكن أن يحدث ذلك، ولكنها تطلب معرفة كيف سيتمُّ، لأنَّنا نقرأ: «كَيْفَ يَكُونُ لِي هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟» هذه الولادة الفريدة والفائقة للعقل، وَجَبَ أن تسمع عنها مواجهةً قبل أن تُسلِّم بها.

أنْ تَلِدَ عذراء، هذه آيةٌ وسرٌّ إلهيٌّ وليس أمرًا بشريًّا، كما هو مكتوب: «وَلكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ» (إش٧: ١٤). **فمريم** قرأته وآمنت بتكميله، ولكنها لم تقرأ كيف كان ليتمَّ هذا، لأنَّ هذه الكيفيَّة لم تكن قد أُعلنت ولا حتى لنبيٍّ عظيم مثل **إشعياء**، ذلك أنَّ إعلان مثل هذا السِّرِّ كان يجب أنْ يخرج لا من شفتي إنسان بل ملاك. واليوم ولأول مرَّة، نسمع القول: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ»، إنَّنا نسمعه ونُصدِّقه.

✝ وقالت **العذراء** أيضًا: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ». انظروا التواضع، انظروا التكريس، إنها تقول: «أَمَةُ الرَّبِّ» وهي المختارة لتكون أُمَّهُ، وهذا الوعد غير المتوقع لم يجعلها ترتفع. وفي نفس الوقت وهي تقول «أَمَةُ»، لم تطلب أي امتياز تَبَعًا لمثل هذه النعمة. إنها ستُكمِل ما تُؤمَرُ به، لأنَّ في مقابل ولادة الوديع المتضع لاقَ أن تكون أُمَّهُ مثالًا في الاتضاع. هذا القول يُعبِّر عن طاعتها وفيه ترون اشتياقها: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ.»، تعني الاستعداد لخدمته؛ و«لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ»، تُعبِّر عن الاشتياق الكامن لديها.

الزيارة النموذجية:

مِنَ البديهي أنَّ جميع مَن يريدون أنْ يُصدِّقوا، يُهيِّئون أسباب التصديق، وأيضًا الملاك الذي كان يُعلِن الأَسْرار أعلن **لمريم**، وهي عذراء، **أمومة امرأة مُسِنَّة وعاقر (أليصابات)**، مُشيرًا بذلك أنَّ **الله** يستطيع أن يفعل كل ما يسرُّه. فمنذ أنْ عرفت **مريم**، قامت – ليس عن نقص إيمان في النبوَّة، وليس عن غير يقينيَّة في هذا الإعلان، وليس عن شكٍّ فيمَن أُعلِنَت قبلها؛ بل بمسرة اشتياقها، وكيما تُكمِل واجبًا تقويًّا باجتهاد وفرح – وذهبت بسرعة إلى الجبال. إنَّ نعمة **الرُّوح القُدُس** لا تعرف الترتيبات البطيئة.

✝ تَعلَّمْنَ أيُّتها العذارى أَلَّا تَجْرِينَ إلى بيوت الآخرين، وألَّا تَنْجَذِبْنَ إلى مواضع معيَّنة بالذَّات، وألَّا تَنْشَغِلْنَ بمحادثات على الطريق العام. **فمريم** تمهَّلت في المنزل، ولكن أسرعت في الطريق. لقد لبثت عند نسيبتها ثلاثة أشهر، لأنها إذ أتت لتؤدِّي خدمة، كانت تؤدِّيها من كل قلبها. وبقيت ثلاثة أشهر ليس لمسرَّة الوجود في بيتٍ غريب، ولكن لأنها لم تُرِد أن تَتَنَقَّل في الخارج.

✝ تَعلَّمْنَ أيُّتها العذارى الرِّقة من **مريم**، وتَعلَّمْنَ أيضًا اتِّضَاعها، فإنَّها تأتي كغريبة إلى قريبتها، وكصغيرة إلى كبيرتها؛ وليس فقط ذهبت إليها، بل كانت هي الأولى في تَحِيَّتِهَا. فيليق حقًّا أنْ تكون العذارى أكثر **اتضاعًا** بقدر ما تَكُنَّ أكثر **عفَّةً**.

✝ هناك أيضًا دافع آخر تَقَوي، بل وتعليم عقيدي: ففي الواقع ينبغي أن يأتي الكبير إلى الصغير ليُساعده، **فمريم** أتت إلى أليصابات، **والمسيح** إلى **يوحنا المعمدان**، وأتى إليه أيضًا فيما بعد كيما يُقدِّس معموديته (مت ٣: ١٣).

وللحال استُعلنت بركات **مجيء مريم وحضور الرَّبِّ**: «فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (لو ١: ٤١).

✝ لاحِظوا دقة اختيار كل لفظ: فأليصابات هي أول مَن سمعت الصوت، ولكن يوحنا المعمدان هو أول مَن شعر بالنعمة؛ فتلك سمعت طبقًا لنظام الطبيعة، أما هذا فتهلَّل تحت تأثير **السِّرِّ**؛ لقد أدركت هي وصول **مريم**، وأدرك هو وصول **الرَّبِّ**؛ أدركت المرأة ما **للمرأة**، والطفل ما للطفل. تكلَّمت المرأتان بإرشاد النعمة، وحقَّقها الطفلان في الداخل وبلغا إلى سرِّ الرحمة لصالح والدتيهما؛ وبمعجزة مزدوجة تنبَّأت الوالدتان بإلهام طفليهما. **فالطفل تهلَّل والأُم امتلأت**. والأُم لم تمتلئ قبل ابنها، بل حالما مُلئ الابن (يوحنا) **بالرُّوح القُدُس** امتلأت منه الأُم أيضًا.

يوحنا تهلَّل وروح مريم بالمثل تهلَّلت، وفي تهليل **يوحنا** امتلأت أليصابات... لأن ذاك الذي لا نستطيع أن نُدركه عَمِلَ في أُمِّه بطريقة غير مُدركة. وأخيرًا، فإن أليصابات امتلأت بعد أن حملت، أمَّا **مريم** فقبل الحَمْل.

✝ «مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ! فَمِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟» إنَّ **الرُّوح القُدُس** يعرف كلامه، والنبوَّة تتحقَّق، ليس فقط في الأعمال المُعجزيَّة، بل أيضًا في الأهداف الواضحة والخاصة جدًّا. فما هي ثمرة البطن هذه إلَّا ذاك الذي قيل عنه: «هوذا ميراث الرَّبِّ البنون اجرة ثمرة البطن» (مز١٢٦: ٣). أو يُقال أيضًا: إنَّ ميراث **الرَّبِّ** هم الأبناء، المأخوذون من هذه الثمرة التي خرجت من أحشاء **مريم**. إنَّهُ هو ثمرة البطن، الغصن الذي نبت من أصل، حسنًا تنبَّأ عنه **إشعياء النبي** قائلًا: «وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ» (إش١١: ١). **فالجذع هو جنس اليهود**، والغصن هو **مريم**، وزهرة **مريم** هي **المسيح**، الذي هو – كثمرة شجرة صالحة، وتبعًا لتقدُّمنا في الفضيلة – يُزهر الآن ويُثمر فينا، ويلد الآن جديدًا بالقيامة مَن يقبل الحياة في جَسَدِهِ.

✝ «مِنْ أَيْنَ لِي هذَا ...؟» إنَّهُ ليس عن جهل تسأل أليصابات –

فهي تعلم تمامًا أنَّ في سلام **مريم أُم الرَّبِّ**، نعمة وفعل **الرُّوح القُدُس** من أجل صالح ابنها – ولكنها تُقِرُّ أنَّ هذه نتيجة **ليس** للاستحقاق البشري بل للنعمة الإلهيَّة، وهي تقول أيضًا: «مِنْ أَيْنَ لِي هذَا ...؟» بمعنى: أيُّ نعيم صار إليَّ أنَّ مريم **أُم الرَّبِّ** تأتي إليَّ. إني أقرُّ بأنَّهُ قد آل إليَّ بلا أي وجه حقّ، فمن أين لي هذا؟ ليس هذا أمرًا مألوفًا بين النساء، أن تأتي أُم ربي إليَّ! إني أتوقَّع معجزة، إني أقرُّ بالسِّرِّ: ها هي **أُم الرَّبِّ مُخصبة بالكلمة**.

✝ «فَطُوبَى لِلَّتِي آمَنَتْ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ»، أنتم ترون أنَّ **مريم** لم **تشكَّ** بل صدَّقت، وبذا اقتنت ثمرة الإيمان. لقد قالت (أليصابات): «طُوبَى لِلَّتِي آمَنَت...»، ولكن طوبى لكم أنتم أيضًا الذين تسمعون وتؤمنون! لأن كل نفس تؤمن، تحبل وتلد **كلمة الله** وتقرُّ بأعماله. فليت نفس **مريم** تكون قدوة في كل شيء كيما **نُمَجِّد الرَّبَّ**، وليت روح **مريم** تكون قدوة في كل شيء كيما **نُعلِّي الله**، فإنَّهُ وإن لم توجد إلَّا **أُم** واحدة **للمسيح** حسب الجسد، فإن **المسيح** بالإيمان يمكن أن يكون ثمرة للجميع، لأنَّ كُلَّ نفس يمكن أن تقبل **كلمة الله** بشرط أنْ تحفظ العِفَّة بلا عيب وتَتَوَقَّى **الرذائل** في **طهارة كاملة**.

✝ إذنْ، فكل نفس تبلغ إلى هذه الحالة **تُعظِّم الرَّبَّ!** كما عظَّمت نفس **مريم الرَّبَّ** وكما **تهلَّلت** روحها **بالله** مخلِّصها.

في الواقع **إنَّ الرَّبَّ** يتعظَّم هكذا، كما قرأتم في موضع آخر: «عظِّموا الرَّبَّ مَعِي» (مز٣٣:٤). ليس إنَّ كلام الإنسان يمكن أن يُضيف شيئًا إلى **الرَّبِّ**، ولكن لأنه يكبر فينا، **لأن المسيح** هو «صورة الله» (٢كو ٤: ٤؛ كو ١: ١٥)، وعلى ذلك فكل نفس تصنع عملًا **ببرٍّ وتقوى**، **تُعظِّم** صورة الله هذه، التي خُلِقت على مثالها. وعلى ذلك أيضًا فهي تُشارِك، بصورةٍ ما، وهي تُعظِّمه، في عظمتِهِ وَتُوْجَدُ مرتفعة فيه.

إنَّها تبدو في نفسها كنسخة مُستخرجة من هذا الأصل بالألوان الباهرة التي للأعمال الصالحة، وكما لو كانت تُحاكيها بالفضيلة.

وعلى ذلك، فنفس **مريم تُعظِّم الرَّبَّ**، وروحها **تتهلَّل بالله**، لأنَّهُ إذْ هي مُكرَّسة نفسًا وروحًا **للآب والابن**، فإنها توقِّر بحبٍّ تَقَويِّ الله الواحد، الذي به جميع الأشياء الكائنة (١كو ٨: ٦).

درجات الكمال التسع عند القديس يوحنا الذهبيّ الفم

تجسّد **الرّبُّ يسوع المسيح** لِيَتَقَبَّلَ **الإنسانُ الإلهيّات**، ويعيد الصورة الإلهيّة في **الإنسان**، هذه الصورة التي **اكتست بالظلمة من جرّاء الخطيئة**.

الرُّوح القُدُس موجود في داخلنا، ويكفي أن **نُفَعِّلَهُ** بقبولنا **لكلمة الله** قولًا وفعلًا وإيمانًا وعيشًا لنصبح **في المسيح** خليقةً جديدة.

لقد دعانا **الرَّبُّ** إلى **كمال صورة المحبّة والنقاوة**.

يشرح **القديس يوحنا الذهبي الفم** كيفيّة بلوغ كمال المحبّة التي دعانا **الرّبُّ** إليها **بدرجاتٍ تِسْع**، حتّى إذا بلغَ المرءُ الدرجة التاسعة ينتقل مِن **العهد القديم** إلى العهد الجديد، أي يَعْبُرُ مِن **عبوديّة الأهواء** إلى كمال النِعَم.

✻ **الدرجة الأولى**: أَلَّا يبدأ الإنسان بِظُلْمِ أخيه.

✻ **الدرجة الثانية**: إذا أصيب الإنسان بظلم فلا يَثْأَرُ لنفسه بِظُلْمٍ أشَدَّ، وإنَّما يكتفي بمقابلة العين بالعين والسن بالسن (المستوى الناموسي القديم).

✻ **الدرجة الثالثة**: أَلَّا يقابل الإنسان من يسيء إليه بِشَرٍّ يماثله، إنّما يقابله **بروح هادئ**.

✻ **الدرجة الرابعة**: يتخلّى الإنسان عن ذاته، فيكون مستعدًّا لاحتمال الألم الذي أصابه **ظلمًا وعدوانًا**.

✻ **الدرجة الخامسة**: في هذه المرحلة ليس فقط يحتمل الألم، وإنما يكون مستعدًا في الداخل **أنْ يقبل الآلام أكثر مما يودّ الظالم أن يفعل به**، فإنِ اغتصب ثوبه يترك له الرداء، وإن سخّره ميلًا يسير معه ميلين.

✻ **الدرجة السادسة**: أنْ يحتمل الظُّلم الأكثر ممّا يودّه الظالم دون أن يحمل في داخله **كراهيَة** نحو العالم.

✻ **الدرجة السابعة**: أَلَّا يقف الأمر عند **عدم الكراهيَة** بَلْ يمتد إلى **الحُبّ**... «أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ».

✻ **الدرجة الثامنة**: أَنْ يتحوّل **الحُبُّ للأعداء** إلى عمل، وذلك بصنع الخير «أَحْسِنُوا إلى مُبْغِضِيكُمْ»، فنقابل **الشَّرَّ** بعمل الخير.

✻ **الدرجة التاسعة والأخيرة**: يُصلِّي المؤمن من أجل المسيئين إليه.

* * * * *

المسيحيّ الحقيقيّ يُصلّي عن الجميع طالبًا الصفح عن أعدائه والمُسيئين إليه. بهذا يكون مُتشبِّهًا **بالرّبِّ يسوع المسيح** نفسه.

وإذا قال أحدهم أنَّ هذا **ضَرْبٌ من الجنون** ولا يقوم به **إلَّا يسوع** لأنّه **إلهٌ كاملٌ**، يأتي ما فعله **القديس الشماس استفانوس** أوّل الشهداء ليعطيه الجواب:

« فَكَانُوا يَرْجُمُونَ اسْتِفَانُوسَ وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ:

«أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي».

ثُمَّ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «يَا رَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ». وَإِذْ قَالَ هذَا رَقَدَ.» (أعمال الرسل ٧:٥٩–٦٠).

هذا سُمُوٌّ لا يبلغه إلَّا مَنْ أَخْلَى ذاته واتضع حتى موت الصليب، عندها **يرفعه الله** وَيُقَدِّسُهُ.

« فَقَامَ كُلُّ جُمْهُورِهِمْ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى بِيلاَطُسَ، وَابْتَدَأُوا يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ:«إِنَّنَا وَجَدْنَا هذَا يُفْسِدُ الأُمَّةَ، وَيَمْنَعُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ، قَائِلاً: إِنَّهُ هُوَ مَسِيحٌ مَلِكٌ». فَسَأَلَهُ بِيلاَطُسُ قَائِلاً:«أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَأَجَابَهُ وَقَالَ:«أَنْتَ تَقُولُ». فَقَالَ بِيلاَطُسُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْجُمُوعِ:«إِنِّي لاَ أَجِدُ عِلَّةً فِي هذَا الإِنْسَانِ». فَكَانُوا يُشَدِّدُونَ قَائِلِينَ:«إِنَّهُ يُهَيِّجُ الشَّعْبَ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ مُبْتَدِئًا مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى هُنَا ... فَصَرَخُوا بِجُمْلَتِهِمْ قَائِلِينَ:«خُذْ هذَا! وَأَطْلِقْ لَنَا بَارَابَاسَ!» وَذَاكَ كَانَ قَدْ طُرِحَ فِي السِّجْنِ لأَجْلِ فِتْنَةٍ حَدَثَتْ فِي الْمَدِينَةِ وَقَتْلٍ.» (لو ٢٣: ١-٥ ، ١٨-١٩).

يا اخوتي، إنَّ **غباوة القلب وعدم الفهم** هما مرضٌ مُشينٌ يصحبه اختراع أفكار وَضِيعَةٍ، كثيرًا ما تقود البَشَر لكلِّ ما هو **شرِّير**، بل وكثيرًا ما تجعلنا نُخطيء ضدَّ مجد الله. وهذا ما يمكن أن نراه بالنسبة لوضع **مَجْمَعِ اليهود**، لأنَّهم **أخطأوا ضدَّ المسيح**، ولذلك قاسوا كُلّ بؤس، أيْ أُدينوا بقضاءٍ عادل من اللهِ لنفس المصير الذي جلبوه على ذاك الذي كان يمكن أن يقيمهم إلى الحياة. ولأنَّهم جاءُوا **بيسوع** إلى **بيلاطس**، لذلك هم أنفسهم أيضًا سُلِّموا **لعساكر الرُّومان** الذين استولوا على كُلِّ أراضيهم وجعلوهم أَسرَى، كما اقتحموا مدينتهم التي كانت سابقًا **المدينة المُقَدَّسة والمجيدة**، وجعلوا سكانها **فريسة للسيف والنار**، ولذلك تحقّقت فيهم **نبوَّات الأنبياء القديسين**، لأنَّ واحدًا منهم يقول: «ويلٌ للشِّرير، شرور سوفَ تحدث له بحسب أعمال يديه» (إشعياء ١١:٧ حسب الترجمة السبعينيَّة)، ويقول آخر: « كَمَا فَعَلْتَ يُفْعَلُ بِكَ. عَمَلُكَ يَرْتَدُّ عَلَى رَأْسِكَ.» (عوبديا ١: ١٥).

لكن دعنا نرى ماذا كان نوع **شرِّهم**، وماذا أيضًا قالوا **لبيلاطُس** عندما صاغوا اتهاماتهم **ضدّ المسيح** مخلِّصنا كلّنا. «إِنَّنَا وَجَدْنَا هذَا يُفْسِدُ الأُمَّةَ، وَيَمْنَعُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ، قَائِلاً: إِنَّهُ هُوَ مَسِيحٌ مَلِكٌ». ولكن انتُم باشَرْتُم محاكمته منذ وقتٍ قليل مضى، ولم تُثيروا مثل هذه القضايا، لكنكم سألتموه فقط إنْ كان هو **المسيح**. فهذا ما كُنتم تسعون إلى معرفته، وبخلاف هذا لم تسألوه عن أيّ شيء آخر على الإطلاق. وهو في رَدِّهِ على أسئلتكم سَعَى أنْ يُبَيِّن أنَّهُ هو **المسيح** وأيضًا أنَّهُ هو بالطبيعة والحقيقة **ابن اللهِ الآب**، لأنَّه قال: «مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ» (متى٢٦: ٦٤). أرجوكم أن تُخبروني مَن الذي يحقّ له أن يجلس مع **الآب** إلَّا الذي هو الابن بالطبيعة؟ لأنَّه لا يُمكن لمخلوق على الإطلاق أن يتحدَّث عن جلوسه على عرش الألوهة، لأنَّ كُلّ كائن مخلوق يوضع تحت قَدَمي الطبيعة الإلهيَّة الفائقة التي تسود الكُلّ وتتسامى على كُلّ ما خُلِقَ. **الله الآب** وحده هو الذي يجلس على العرش عاليًا ومرتفعًا، ويشاركه ابنه في عَرشه، وهو الكائن دائمًا معه، ومولود منه بالطبيعة. لذلك فقد حَصَلتُم بسُؤالكُم هذا على التأكيد الكامل بأنَّهُ هو **المسيح**، لكن في تَلهُّفِكُم على أنْ **تتَّهموهُ بالتجديف** قد أعلنَ لكم مَجْدَهُ، فقلتم ما حاجتنا بعد إلى شهود لأنَّنا نحنُ سمعنا من فمه. فكيف تتناسون هذا أو بالأحرى تتجاوزون **في خُبثكم وشرِّكم كُلّ بنود الاتِّهام التي حاكمتموه عليها وتأتون بقائمة اتهامات لها طبيعة مختلفة تمامًا وتقولون: إنَّنا وجدنا هذا يُفْسِد الأُمَّة**. أخبرونا فيما يكون هذا الإفساد! إنَّ تعاليمَه كانت منصبَّة على **التوبة**. **أَيْنَ مَنَعَ أنْ تُعطَى جزية لقيصَر؟** فأنتم في الحقيقة أرسلتم إليه بعضًا من جماعتكم مع قوم من هؤلاء الذين يُدعَوْن **هيرودُسيين** ليجرِّبوه قائلين: «يَا مُعَلِّمُ: مَاذَا تَظُنُّ؟ أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟» (متى ٢٢: ١٧). «فَعَلِمَ يَسُوعُ خُبْثَهُمْ وَقَالَ:«لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي يَا مُرَاؤُونَ؟ أَرُونِي مُعَامَلَةَ الْجِزْيَةِ». فَقَدَّمُوا لَهُ دِينَارًا. فَقَالَ لَهُمْ:«لِمَنْ هذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟» قَالُوا لَهُ:«لِقَيْصَرَ». فَقَالَ لَهُمْ:«أَعْطُوا إِذًا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ». فَلَمَّا سَمِعُوا تَعَجَّبُوا وَتَرَكُوهُ وَمَضَوْا.» (متى ٢٢: ١٨-٢١). إذن ففي أيّ موضع **منَعَ أنْ تُعطَى جزية لقيصَر؟** لكن كان هدفهم الوحيد هو أن **يُحْدِروا إلى الموت** ذلك الذي يقيمهم إلى الحياة. كان هذا هو مقصد خططهم وهدف **الأفعال الدنيئة والأكاذيب التي اخترعوها، والكلمات المُرَّة التي جَرَت على ألسِنَتِهم الشّريرة**. ولكن الناموس يُعلن لكم بصوتٍ عالٍ: «لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ.» (خر ٢٠: ١٦)، وأيضًا : «وَلاَ تَقْتُلِ الْبَرِيءَ وَالْبَارَّ» (خ ٢٣: ٧).

وقال الله في أحد المواضع **بلهجةٍ عنيفة في غضبه** بفمِ واحدٍ من **أنبيائِهِ القديسين**: « أَمَّا أَنْعُمُ فَتَقَدَّمُوا إِلَى هُنَا أَيُّهَا الْبَنُون الأَشْرار، يَا نَسْل الفَاسِقِينَ والزَّانِيَة: بِمَن تَسْخَرُون؟ وَعَلَى مَنْ تَفْغُرُون الفَم؟ وعلى مَنْ تُخْرِجُون لِسَانَكُم؟ أَمَا أَنْتُم أَوْلَاد المَعْصِيَة وَنَسل الظَّالِمِين؟» (إشعياء ٥٧:٣-٤ الترجمة السبعينيَّة). وكذلك **داود النبي** يصفهم في موضعٍ ما في المزامير وهو يخاطب **الله الآب** في السموات: «شَتِّتهُم بقُوَّتكَ، واهبط بِهِم يا ربُّ يا عاضدي، إنَّ خطيَّة أفواههم هي كلام شفاههم، وسوفَ يُؤخَذون في كبريائِهِم» (مز ٥٨:١١-١٢ الترجمة السبعينيَّة). لأنَّهم إذ أطلقوا العِنَان للسانهم الجامح **ضدّ المسيح**، وكما هو مكتوب: «ورَفَعوا إلى العُلا قرنهم وتكلَّموا بالإثم ضدّ الله.» (مز٧٤:٥ الترجمة السبعينيَّة). فإنَّهم إنما سقطوا في كبريائهم. بالتأكيد كان من واجبهم طالما يفتخرون بمعرفتهم لشرائع **الله** أنْ يتذكَّروا أنَّ **الله** قال: «لا تقتُل التَّقيّ ولا البارّ»، لكنهم لم يعطوا أيّ اعتبار للاحترام الواجب **للناموس**، ولكن بسبب انقيادهم **بتهوُّرٍ شديد** إلى ما يُسِرُّهم ويُرضيهم هُم وحدهم دون فحص لطبيعته، فإنَّهم اخترعوا اتهامات عديدة وحَشَدوا **ضدّ المسيح اتهامات لم تَكُن صحيحة**، ولا استطاعوا أيضًا أنْ يُبرهنوا عليها. لكنهم كانوا بهذا مُدانين بكونهم **أكثر شرًّا من عابد الأوثان**، لأنَّ **بيلاطس** إذْ بَرَّأَ **يسوع** من **كُلِّ لوم**، قال علانيةً: «لم أَجِد عِلَّة واحدة في هذا الإنسان»، ولم يَقُل مَرَّةً واحدة بل ثلاث مرَّات.

لكنهم اعترضوا بإصرار أنَّهُ يُفسِد الشَّعب ويُعَلِّم في كُلّ اليهوديَّة مبتدئًا من الجليل إلى هنا. ها إنَّهم **يُغَيِّرون مرَّةً أُخرى اتِّهاماتهم السَّابقة ويخترعون لتثقيل تهمته، ويجمعون فُرَصًا جديدة لِذَمِّهِ واغتيابِهِ**، إذ قالوا: «إِنَّهُ يُهَيِّجُ الشَّعْبَ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ مُبْتَدِئًا مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى هُنَا» (لو ٢٣:٥). لكن فيما هُم يتَّهمونه بالتعليم، نجدهم قد صمتوا عن فحوى ما يُعَلِّمه إذ خافوا – كما أظن – لِئَلا يكون **بيلاطس** نفسه ضمنَ مَن يؤمنون بِهِ، لأنَّه لو كان قد سَمِعَ **المسيح** وهو يكشف سرَّه **الإلهيّ**، ربما كان قد توقَّفَ من ذلك الوقت عن **عبادة الآلهة الكاذبة**، بقبوله لسُكنى نور معرفة **الله** الحقيقيَّة في داخِلِهِ، ولامْتِلاكِهِ في ذهنِهِ وقلبِهِ الدواء الذي تَهِبُهُ تلكَ الرسالة المقدسة والخلاصيَّة التي **بالمسيح**. لأنَّهُ ماذا كانت تعاليم **المسيح**؟ إنَّهُ يَدعو مَنْ كانوا **في ضلال ويعبدون المخلوق** بدلًا من **الخالق** أن يأتوا إلى المعرفة الحقيقيَّة **لله**. وهو يُريد لكل مَن يَقتَرِب منه أنْ يتلألأ بأمجاد البِرّ، وأن يكون **بلا عَيْب وَصالحًا لطيفًا ورحيمًا، حكيمًا وقدِّيسًا وحياته مستقيمة وبلا لوم**. لذلك هم **بِدَهاءٍ عظيم** قالوا إنَّهُ يُعَلِّم، لكنهم صمتوا **من جهة طبيعة تعاليمِهِ**، لكن بالرُّغم من كلامهم هكذا، فإنَّ **بيلاطُس وَبَّخهم** وَبَرَّأَ نفسه قائلًا: «قَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ هذَا الإِنْسَانَ كَمَنْ يُفْسِدُ الشَّعْبَ. وَهَا أَنَا قَدْ فَحَصْتُ قُدَّامَكُمْ وَلَمْ أَجِدْ فِي هذَا الإِنْسَانِ عِلَّةً مِمَّا تَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَلاَ هِيرُودُسُ أَيْضًا، لأَنِّي أَرْسَلْتُكُمْ إِلَيْهِ. وَهَا لاَ شَيْءَ يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ صُنِعَ مِنْهُ.» (لو ٢٣:١٣-١٥).

أُنظروا! فإنَّ مَن يعرفون الشرائع الإلهيَّة ويقولون **بكبرياء وبعجرفة**: «نحْنُ تَلَاميذِ موسَى» يُطالبون **بالحُكم بالموت** على مَن هوَ غير مُذنِب بأيِّ إثم، بَلْ مَنْ هو **رأس ومعلِّم كُلّ تَقْوَى**، وهو الذي يجعل مَن يؤمنون به **ماهرين في كُلِّ فضيلة**. وحينما بَرَّأَه مَنْ كان يَحِقّ له أن يُحاكِمَهُ، فإنَّهم لكي يجعلوا **عذابهم الأبدي أشدّ**، طلبوا باجتهادٍ شديد أن يُحكَم **بعقوبَة الموت** على مَن لم يَأتِ بأيِّ فِعلٍ أثيم، لأنَّ كُلّ الجمع صَرَخَ قائلًا: «خُذْ هذَا! وَأَطْلِقْ لَنَا بَارَابَاسَ!» (لو ٢٣:١٨). لذلك قد أنكروا حقًّا بوضوح **القُدُّوس** البارّ، كما قال **الطوباوي بطرس**، وطلبوا أنْ يوهَب لهم رجُلٌ قاتل (أع٣:١٤). لكيما يكونوا شُركاء في نصيبه ومُتَوَرِّطينَ في ذَنبِهِ، وكان نصيبهم أنْ **ينالوا العذاب**، لأنَّهم قد سُلِّموا للهلاك والفَزَع، وهَلَكُوا جميعهم مع كُلّ جنسهم، لأنَّهم «صَرَخُوا قَائِلِينَ:«اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!» (لو ٢٣:٢١). وقد لامَ **الرَّبُّ** صَرختهم **غير** المُقَدَّسة هذه، وقالَ بفم **إرميا النبيّ** «قَدْ تَرَكْتُ بَيْتِي. رَفَضْتُ مِيرَاثِي. دَفَعْتُ حَبِيبَةَ نَفْسِي لِيَدِ أَعْدَائِهَا. صَارَ لِي مِيرَاثِي كَأَسَدٍ فِي الْوَعْرِ. نَطَقَ عَلَيَّ بِصَوْتِهِ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَبْغَضْتُهُ.» (إر١٢:٧). لذلك **أبغضهم الله** لأنَّهم **هجموا كَأَسَدٍ** على **المسيح** ، وأطلقوا ضدَّهُ صيحةً **تَتَّسِمُ بالقسوة وعدَم الشفقة**. أمَّا نحنُ فَنُسَبِّح **المسيح** الذي تألَّمَ بالجسد بدلًا عنَّا الذي به ومعه **لله الآب** يليق التسبيح والسلطان مع **الرُّوح القُدُس** إلى دهر الدهور. آمين.

أَنَّ ٱلخَلَاصَ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا بِغَيْرِ اللهِ

للقديس أثناسيوس الكبير

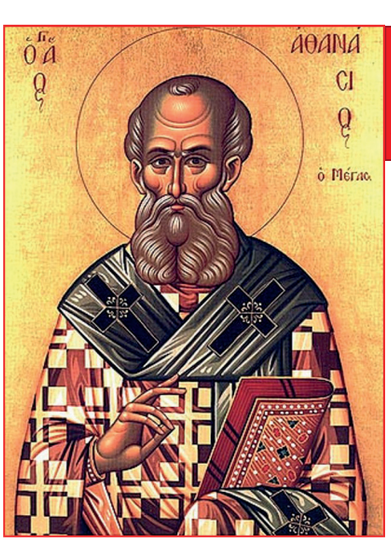

كان ضَرورِيًّا أَلَّا يَتجسَّد أحدٌ آخَرَ سوى الله الكلمة نفسه «لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ، أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ بِالآلاَمِ.» (عب٢:١٠)، ويقصد بهذه الكلمات أنَّهُ لم يكن اختصاص أحد آخر أنْ يَرُدَّ البَشَر عن الذي قد بدأ، سوى **كلمة الله** الذي هو أيضًا صنعهم من البدء «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ.» (عب٢:١٤-١٥)، لأنَّهُ بذبيحة جسده وضع نهاية للحُكم الذي كان ضِدَّنا، وكما وضع لنا بداية للحياة برجاء القيامة الذي أعطاه لنا، لأنه كما بإنسان **ساد الموت على البشر** كذلك أيضًا **بكلمة الله** إذ صار إنسانًا **تهدَّم الموت** وبدأت قيامة الحياة.

✝ بعد أن تَكلَّم **القديس يوحنا الذهبي الفم** عن احتفالنا بالصليب الذي تمَّ عليه خلاصنا، وعن سبب تقديم ذبيحة الصليب خارج المدينة المقدسة، وأنَّ **الصليب** فَتَحَ لنا الفردوس بعد أن كان **مُغلقًا**، وأنَّ **اللِّص اليمين المصلوب المحكوم عليه بالإعدام** وعده **الرَّبُّ** بالفردوس، وأنَّهُ علينا ألَّا نخجل من اتِّخاذ **اللِّص اليمين** مُعلِّمًا لنا؛ واصل **القديس يوحنا الذهبي الفم** كلامه قائلًا:

✝ ... ثم أَسكَتَ **اللِّص اليمين اللصَّ الآخر** بقوله: «أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ **الله**، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟» (لو٢٣: ٤٠). وماذا يعني بقوله: «إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟»، يقصد نفس العقاب، «**أَوَلَسْتَ أنت أيضًا على الصليب؟ فعِوَضًا من أنْ تُوبِّخ الرَّبَّ، أَلا تدين نفسك أنتَ؟**». تمامًا كما أنَّ السَّاقط في خطيئة ويدين إنسانًا آخر، فالأَوْلَى به **أن يدين نفسه** وليس الآخر؛ هكذا أيضًا فإنَّ ذاك الذي يكون في محنة ويوبِّخ الآخر في محنته، فهو يوبِّخ نفسه وليس غيره.

لقد رجع **اللِّص اليمين** إلى وَصِيَّةِ **الرَّبِّ**: «لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا» (مت ٧: ١). ماذا تفعل أيُّهَا **اللِّصّ**؟ فبينما أنتَ تحاول أن تدافع عن **الرَّبِّ**، جَعَلْتَهُ زميلًا في **اللصوصية**؟ يردُّ فيقول: ﴿كلَّا، إنَّني سوف أُصحِّح هذا المفهوم بما يأتي: فحتَّى لا تظنُّوا أنَّهُ بقولي: إنَّنا تحت العقوبة ذاتها مثل **المسيح**، جعلتُ **المسيح** مُشاركًا لنا في **خطايانا**؛ فقد أضفتُ مُصحِّحًا قولي: «أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْل، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا» (لو٢٣: ٤١)﴾.

أَتَرَوْنَ اعترافه **الكامل**؟ أترون كيف أنَّهُ على الصليب اعترف بخطاياه؟ لأنه مكتوبٌ: «إِعْتَرِفْ أَوَّلًا بِتَعَدِّيَاتِكَ لِكَيْمَا تَتَبَرَّر» (إش ٤٣: ٢٦ – سبعينية). لم يُجبره أحد، لم يُقيِّده أو يُكْرِهْهُ أحدٌ؛ ولكنه فَضَحَ نفسه قائلًا: «لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ» (لو٢٣: ٤١)، ثم قال: «اذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» (لو٢٣: ٤٢). إنَّهُ لم يستطع أن يقول ذلك إلَّا بعد أن أَلقى عنه **ثِقَلَ خطاياه**.

أترون كم أنَّ الاعتراف بالخطيئة ثمين؟ لقد اعترف (**اللِّصُّ اليمين**) وفَتَحَ الفردوس. وبعد اعترافه صار واثقًا أنَّهُ بمجرد أنْ **نَبَذَ حياة اللصوصية**، طلب الملكوت. أترون كم من الخير يجلبه الصليب لنا؟ هل يُذكِّركم ذلك بالملكوت؟ أخبروني، ما هو الذي تَرَوْنَ أنَّهُ يُذكِّركم؟ إنَّنا نرى المسامير والصليب. ولكن يُقال إنَّ الصليب ذاته رمزٌ للملوكيَّةِ. ولهذا السبب أُسمِّي **المسيح** مَلِكًا منذ أن رأيته مصلوبًا، لأنه من اللاَئِقِ أن يموتَ الملكُ من أجل رَعِيَّتِهِ. لقد قال هو (أي **الرَّبُّ**) نفسه: «الرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ.» (يو١٠: ١١). وهكذا، فإنَّ الملك الصالح أيضًا يضع حياته من أجل شعبه. وطالما أنه وضع حياته فإنني أُسمِّيه مَلِكًا: «اذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» (لو٢٣: ٤٢).

الصليب رمزٌ للملكوت:

أترون كيف أنَّ الصليب هو أيضًا رمزٌ للملكوتِ؟ أتريدون أن تفهموا الصليب من ناحية أخرى أيضًا؟ إنَّ **المسيح** لم يترك الصليب على الأرض، بل أخذه وأصعده إلى السماء. مِمَّ يتضح ذلك؟ من حقيقة أنه سوف يأتي به في مجيئه الثاني المجيد، لكي تُدركوا عِظَمَ قُدسِيَّة الصليب حيث سمَّاه هو أيضًا «مَجْدًا». ولكن هَلُمَّ نرى كيف أنَّهُ سوف يجيء بالصليب، لأنه من الضروري أن نُظهِر الدليل؛ فقد قال **المسيح**: «فَإِنْ قَالُوا لَكُمْ: هَا هُوَ فِي الْبَرِّيَّةِ! فَلاَ تَخْرُجُوا. هَا هُوَ فِي الْمَخَادِعِ! فَلاَ تُصَدِّقُوا!» (مت٢٤: ٢٦). لقد قال ذلك بخصوص مجيئه الثاني المملوء مَجْدًا، وذلك **بسبب المُسَحَاء الكَذَبَة، بسبب الأنبياء الكَذَبَة، بسبب الضِدِّ للمسيح**؛ وذلك حتى لا يُضلَّل أحد ويُخْدَع, فحيث إنَّ **الضِّدَّ للمسيح** يأتي قبل **المسيح**، حتى أنَّهُ عندما يبحث أحدٌ عن **الرَّاعي** لا يقع **فريسة للذئب**؛ لهذا السبب ها أنا أُخبركم بعلامة مجيء **الرَّاعي**.

وحيث أنَّ مجيئه الأول كان **مَخْفِيًّا**، حتى لا تظنُّوا أنَّ مجيئه الثاني سيكون أيضًا هكذا، فقد أعطى هذه العلامة. من المناسب أن يكون مجيئه الأول **مَخْفِيًّا**، لأنه جاء ليطلب مَن كان **مفقودًا**؛ أمَّا مجيئه الثاني فلن يكون مثل الأول.

ولكن أخبروني: كيف سيكون؟ «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ.» (مت٢٤: ٢٧). إنَّهُ سوف يَظْهَرُ لكُلِّ أحدٍ في وقتٍ واحدٍ، ولن يحتاج أحدٌ أن يسأل: إن كان **المسيح** هنا أم هناك؟ تمامًا كما أنَّ ضوءَ البَرْقِ عندما يظهر لا نحتاج أنْ نُمْعِنَ النظر لنرى إن كان ذلك قد حدث أم لا؛ هكذا عندما يحين مجيء **المسيح** لن نحتاج أن نفحص إنْ كان قد جاء أم لا.

ولكن السؤال هو: إن كان سيأتي (**الرَّبُّ**) ومعه الصليب؟ فدعونا ألَّا ننسى ما وعدنا به **الرَّبُّ** قائلًا: إنَّهُ عندما يأتي «وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ.»، وحينئذ سيوجَد فيضٌ من الضَّوءِ حتى أنَّ أكثر النجوم سُطوعًا سوف تَخْتَفِي عن الأنظار: «وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ.» (مت: ٢٤: ٢٩-٣٠).

أَتَرَوْنَ كَمْ هُوَ عظيمٌ عَلَمُ (أو علامة) الصليب؟ الشَّمْسُ سَوْفَ تُظْلِم، وَالْقَمَر لن يكون مَرْئِيًّا؛ أمَّا الصليب فَسَوْفَ يظهر ويشعُّ حتى تُدركوا أنه **أكثر سُطوعًا (أَسْطَعَ)** من الشمس والقمر.

وكما أنَّ الملك عندما يدخل مدينة يتقدَّمه الجنود حاملين أعلامه على أكتافهم مُعلنين مُسبقًا عن مجيئه؛ هكذا أيضًا عندما ينزل **الرَّبُّ** من السماء تتقدَّمه **جيوش الملائكة ورؤساء الملائكة** حاملين علامة الصليب على أكتافهم حاملين لنا أنباء مجيئه الملكيّ. كما أنَّهُ قال بخصوص الملائكة: «وقوات السموات تتزعزع» (مت٢٤: ٢٩)؛ وحينئذ يحلُّ بهم رُعبٌ وخوفٌ عظيمَيْن. ولكن لماذا؟ لأنَّ **الدَّينونَةَ** سوف تكون **مُخيفةً**، لأنَّ جنسنا البشري كلَّهُ سوف يُؤتَى به أمام القاضي المخوف **ويُحاكَم**. ولكن لماذا سوف **تخاف الملائكة وترتعد؟** إنهم لنْ يُحاكَموا. ذلك كما أنَّهُ عندما يجلس الحاكم في القضاء، فإنَّهُ ليس القضاة وحدهم هم المسئُولون قانونيًّا أنْ يُقدِّموا حسابًا عن خدمتهم، ولكن أيضًا القضاة الآخرون غير المتورِّطين **يخافون ويرتعدون** من القاضي؛ هكذا أيضًا عندما يُحاكَم جنسنا حينئذ فإنَّ الملائكة الذين هم غير متورِّطين **سيكونون خائفين بسبب مهابَةِ القاضي!**

ولكن لماذا سوف يظهر الصليب حينئذ؟، لماذا سيأتي **الرَّبّ** ومعه الصليب؟. إنَّ **رمز وقاحة الذين صلبوه**، هذا سوف يظهر، حتى يُدركوا أنَّهُ **بعنادهم كان ينقصهم الفهم**. ولكي تعلَمُوا إنْ كان **هو** سيأتي بالصليب، لهذا السبب استمعوا **للنبوَّة القائلة**: «وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (مت ٢٤: ٣٠؛ رؤ ١: ٧). إذ يُبصرون الذي **اتَّهَمُوهُ** ويتعرَّفون على **خطيئتهم**. ولماذا تتعجَّبون لمجيئه آتيًا بالصليب طالما أنه سوف يُظهِر **جروحه؟** لأن النبي يقول: «فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ، الَّذِي طَعَنُوهُ» (زك١٢: ١٠). وكما فعل مع **توما**، بعد قيامته، عندما أراد أن يُقوِّم **عدم تصديق تلميذه**، فقد أَظْهَر له أماكن المسامير وجروحَهُ قائلًا: «هَاتِ إِصْبَعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا» (يو٢٠: ٢٧)، «فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ» (لو٢٤: ٣٩)؛ فبنفس الطريقة سوف يُظهِر جروحه وصليبه في ذلك الوقت لكي يُثبت أنَّهُ هو الذي صُلِبَ!

أَظْهَرَ الرَّبُّ حُبَّهُ بكلماته على الصليب:

إلاَّ أنَّهُ ليس بواسطة الصليب وحده، بل أيضًا بواسطة كلمات **الرَّبِّ** على الصليب، أَظْهَرَ **حُبَّه للبشرية** الذي لا يُنطق به. لقد سُمِّر (**الرَّبُّ**) على الصليب **واستهزأوا به وبصقوا عليه**، ومع ذلك قال: «يَاأَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لو٢٣: ٣٤). فقد صلَّى من أجل **الذين صلبوه** رغم قولهم له: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!... فَنُؤْمِنَ بِكَ!» (مت٢٧: ٤٠-٤٢). ولكن لأنَّهُ بالذَّات هو ابن **الله** لم ينزل عن الصليب حيث إنه جاء لكي **يُصلَب** من أجلنا.

ولكن قولهم: «انْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!... فَنُؤْمِنَ بِكَ!» لم يكن سوى **كلام وحجَّة لعدم إيمانهم**. لأنَّ كونه يقوم من القبر الذي خُتِمَ بحجر لهو **أمرٌ أعظم بكثير** من نزوله عن الصليب. وإنَّهُ **لأمر أعظم بكثير** أن يُقيم من القبر **لعازر بعد أربعة أيام وهو مُقيَّدٌ بأكفانه** من نزوله عن الصليب. كما أنَّهُم قالوا: «خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ» (مت ٢٧: ٤٠). ولكنه عمل كُلّ شيء لكي يُخلِّص أولئك الذين كانوا يُعيِّرونه: «يَاأَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ». وما الَّذي حدث؟ هل غفر لهم هذه **الخطيئة؟** لو كانوا راغبين في التوبة لكان قد غفر لهم. ولو لم يغفر لهم هذه الخطيئة لَما صار **بولس رسولًا**. لو لم يغفر لهم لَما جاء إلى الإيمان في الحال آلاف (بواسطة عظة **بطرس الرسول**)، ثم عشرات الألوف. فبخصوص **آلاف اليهود الذين** آمنوا، اسمع قول **الرسل لبولس الرسول**: «أَنْتَ تَرَى أَيُّهَا الأَخُ كَمْ يُوجَدُ رِبْوَةً مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا» (أع ٢١: ٢٠).

إذن، فَلْنَتشبَّه بمعلِّمنا **ونُصَلِّ من أجل أعدائنا**، فبينما كان مصلوبًا تكلَّم مع **أبيه من أجل صالبيه**. ورُبَّ أحد يقول: «كيف يمكنني أن أتشبَّه بالسيِّد؟». يمكنك ذلك لو أردتَ. ولو لم يكن ممكنًا أن نَتشبَّه به، فلماذا قال:«تَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ» (مت ١١: ٢٩)؟ وَلِمَا قال **بولس الرسول**: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ.» (١كو١١: ١). وإن لم تريدوا أن تتشبَّهوا بِسَيِّدِكُم، فتشبَّهوا بزميلكم خادم **الرَّبّ إستفانوس** الذي تشبَّه بالسَّيِّد. لأنه كما أنَّ المسيح **في وسط صالبيه** تغاضَى عن آلامه وعن منفعته الشخصيَّة وتوسَّل **لأبيه من أجل صالبيه**؛ هكذا أيضًا العبد (**إستفانوس**) في وسط **الذين كانوا يرجمونه** لم يَأْبَهْ بآلامه وقال: «يَارَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ» (أع ٧: ٦٠).

أَتَرَون كيف نطق ابن **الله** وكيف نطق العبد؟ (**إستفانوس**) وهو لم يُصَلِّ بشغف بينما كان يُرجَم حتى الموت **فحسب**؛ بل إنَّهُ «جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ:«يَارَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ» (أع ٧: ٦٠)، **وبشفقة عظيمة أيضًا**.

وهناك خادم آخر أيضًا تألَّم أكثر من ذلك هو **الرسول بولس** الذي قال: «مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلَّا وَاحِدَةً.ثَلاَثَ

مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِيِّ، مَرَّةً رُجِمْتُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِيَ السَّفِينَةُ، لَيْلًا وَنَهَارًا قَضَيْتُ فِي الْعُمْقِ.» (٢كو١١: ٢٤-٢٥). ومع ذلك فقد قال: «إِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ» (رو٩: ٣).

أتريدون أن تروا شخصًا آخر **من العهد القديم** مِمَّن يُتعجَّب لهم؟ **(يقصد النبي موسى)** إنه بلغ إلى **الفضيلة الرسوليَّة** مع أنه لم يتلقَّ وصيَّة محبة الأعداء، بل وصيَّة «وَعَيْنًا بِعَيْنٍ، وَسِنًّا بِسِنٍّ» وأن يُقابِل الشَّر بالشَّر (خر٢١: ٢٤، ٢٥). استمع لِمَا قاله **موسى النبي** الذي **اضطهده اليهود**: «وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ، وَإِلاَّ فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ» (خر٣٢: ٣٢). أترون أنَّ كُلَّ **واحد** منهم: **(يقصد:إستفانوس، بولس الرسول، وموسى النبي)** جعل خلاص الآخرين قبل خلاصه! إنك لم تُخطئ، فلماذا تريد أن تُشاركهم **في العقاب**؟ يقول: **«لأنَّني لا أشعر بالسعادة قط عندما يتألَّم الآخرون»!**

أترون مرةً أخرى نفس أنواع التصرُّفات الفاضلة؟ كما أنَّ **صموئيل النبي**، **أساءَ اليهود** معاملته وجرَّدوه من وظيفته وأهانوه لدرجة أنَّ **الله** أراد أن يُعزِّيه فقال له: «لأَنَّهُمْ لَمْ يَرْفُضُوكَ أَنْتَ بَلْ إِيَّايَ رَفَضُوا» (١صم٨: ٧). أمَّا عن ذاك الذي **رفضوه وأساءوا معاملته** فقد قال: «وَأَمَّا أَنَا فَحَاشَا لِي أَنْ أُخْطِئَ إِلَى الرَّبِّ فَأَكُفَّ عَنِ الصَّلاَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ» (١صم١٢: ٢٣). هكذا اعتبَر **(صموئيل)** أنَّ عدم الصلاة من أجل أعدائه **خطيئة!**

أخبروني إذن، أي نوع من المغفرة نريد أن نحصل عليه؟ **الرَّبّ وخُدَّامه في العهدَيْن** جميعهم يدفعوننا إلى أن نُصلِّي من أجل **أعدائنا**، في حين أنَّنا **نفعل العكس، ونصلِّي ضدهم!** وبقدر كثرة عدد الأمثلة التي أمامنا، بقدر ما تكون **العقوبة** إنْ لم نقتدِ بتلك الأمثلة.

صلاتنا من أجل **أعدائنا** إنَّما هي **أمرٌ أعظم** من الصلاة من أجل **أحبَّائنا**. كما أنه ليس من النافع لنا أن نُصلِّي من أجل **أحبَّائنا** مثلما نُصلِّي من أجل **أعدائنا**، فإنَّ **الرَّبّ** يقول: «لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟» (مت٥: ٤٦).

فإذا صلَّينا من أجل **أحبَّائنا** فلا نكون بعد قد **صرنا أفضل من الوثنيين والعشَّارين**؛ أمَّا إذا أحببنا **أعداءنا** فنصير مثل **الله** بقدر كفاية **الإنسان**.

فدعونا، إذن، نصير مثل **الآب** لأن **الرَّبَّ** قال: «لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت٥: ٤٥)، وذلك لكي نكون مستحقِّين ملكوت السموات بنعمة **الرَّبّ** ومحبة البشر التي **لمخلِّصنا يسوع المسيح**، الذي له المجد إلى الأبد. آمين.

بِمَ تُجيبُ الدَيَّانَ العادل، يا مَنْ تُلْبِسُ الجُدرانَ ولا تُلبِسُ نظيركَ الإنسان؟ يا مَن تُزيِّنُ جيادكَ ولا ترمقُ بنظرةٍ واحدةٍ أخاكَ في الضيق؟ يا مَن تدعُ قمحَكَ طعامًا للفسادِ ولا تُطعمُ الجائعين؟ يا مَن تَخبئُ ذَهَبَكَ ولا تَخِفُّ إلى نُصرةِ المظلوم؟

قد تقول: أيَ إجحافٍ أرتكبُ إذا احتفظتُ بما هوَ ملكٌ لي؟ بِحَقِّكَ، قُل لي: ماذا لكَ؟ ومِمَّنْ أخذتَهُ حتى تملِكَهُ طولَ حياتِكَ؟ مَثَلُكَ في ما تَدَّعي، مَثَلُ امرئٍ آستولى على مقعدٍ في قاعةِ المسرحِ العام، وَوَكَدُهُ أنْ يَمنَعَ الآخرينَ من الدخول، ليَتَمتَّعَ بالمشهدِ وحدهُ، كأنَّهُ ملكُهُ الخاص، وهوَ مُشاعٌ للجميع. تِلكَ حالُ الأغنياء: يعتبرونَ الخيْراتِ العامَّةَ ملكًا خاصًا لَهم، لأنَّهم استولوا عليها قبلَ الآخرين

لو كانَ كلّ إنسانٍ يأخذُ من أموالِهِ ما يكفي لسَدِّ حاجاتِه، ويترُكُ الفائضَ عنهُ لِمَن ينقصُهُ الضروريّ، لما بَقِيَ على الأرضِ غنيٌّ او فقير. أنتَ يا مَن تلتهِمُ كلَّ شيءٍ هُوَّةُ طَمَعِهِ الفاغر على الدوام، أتَظُنُّ أنَّكَ لا ترتكِبُ إجحافًا بحقِّ أحد، عندما تحرمُ الضروريَّ هذا العددَ الكبيرَ مِنَ المُحتاجين؟ مَن هوَ الإنسانُ الذي يُدعى سارقًا للجماعة؟ أليسَ مَن يَختَصُّ نفسَهُ بما هوَ للجميع؟ أَلَا تكونُ سارقًا للجماعةِ أنتَ الذي يَختَصُّ نفسَهُ بما أُعطيهِ ليوَزِّعهُ على الآخرين؟ إنَّنا ندعو سارقًا مَن يَسلُبُ المُسافرينَ ثيابهم. وهَلْ يستَحقُّ غيرَ هذا الاسمِ ذلكَ الذي لا يكسو مُحتاجًا ليسَ لهُ غيرُ العُرْيِ لباسًا؟

الخُبزُ الذي تَحفَظُهُ في المَخْبَأ هُوَ مِلكٌ للجائعين، والثوبُ الذي تُقفِلُ عليهِ الخزانَةَ هُوَ مِلكٌ للعراة، والحذاءُ الذي يتلَفُ عندَكَ هُوَ مِلكٌ للحُفاة، والذهَبُ الذي تَدفِنُهُ هوَ مِلكٌ للمُحتاجين. فأنتَ مُجحفٌ بحقِّ الذين تستطيع أن تَسُدَّ حاجتَهُم ولا تَفعَل. ■

الجسد المُحيي وسرّ قيامة المسيح

للقديس كيرلّس الكبير

✚ يقول القديس كيرلُّس الكبير في تفسيره لآية إنجيل يوحنا (٦: ٥١): «وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ»:

﴿ يقول (الرَّبّ): أنا أموتُ لأجل الجميع، لكي أُحْيِي الجميع بذاتي، وقد صَيَّرتُ جسدي أنا الخاص فِدْيةً عن أجساد الجميع، لأنَّ الموت سوف يموت في موتي أنا، ومعي سوف تقوم طبيعة الإنسان الساقطة. لأنني لهذا صرتُ مثلكم، أي إنسانًا، ومن نسل إبراهيم، حتى «أُشْبِه إِخْوَتِي فِي كُلِّ شَيْءٍ» (عب ٢: ١٧)﴾.

من التعاليم الهامة للقديس كيرلُّس الكبير أنَّهُ لا يُركِّز على الموت كنتيجة للخطية بحدِّ ذاته، ولكن: على إماتة الموت، أو إبادة الموت بموت المسيح، وهذا ما ذَكَرَهُ: «لأن الموت سوف يموت في موتي». نرى هذا التعليم واضحًا في نصوص طقس كنيستنا الرُّومِيَّة الأرثوذكسيَّة، التي يتكرَّر فيها معنى هذه العبارة كثيرًا، نذكر منها على سبيل المثال:

لحن القيامة: «المسيحُ قام من بين الأموات، ووطئ الموت بالموت، ووهبَ الحياة للذين في القبور ».

وفي قِطَع صلاة الساعة التاسعة من السواعي: «يا مَن وُلدتَ من البتول من أجلنا، وَصَبَرتَ على الصَّلْب أيها الصالح، يا مَن سبيتَ الموتَ بموتك، وأريتَ القيامة بما أنَّك إلهٌ...».

وفي صلاة الساعة السادسة من يومي الأربعاء الجمعة نقول هذه الصلبيَّة: «يا والدة الإله العذراء الكاينة فائقة التمجيد نُسبِّحُكِ. لأنَّ بصليب ابنِكِ انحطَمَ الجحيم. وأُميتَ الموت. ونحنُ نهضنا بعد أن كُنَّا أمواتًا. واستحقَّينا الحياة. وحظينا بفردوس النعيم القديم. ولهذا فلنمجِّد شاكرين المسيح. بما أنَّه الهنا العزيز. والكثير الرحمة وحده».

وفي صلاة الساعة التاسعة (ذُكصاكينين ثاوطوكيون): «يا مَن وُلِدتَ مِنَ البتول من أجلنا وصَبَرتَ على الصليب. أيُّها الصَّالح. يا مَن سبيتَ الموتَ بموتِكَ. واريتَ القيامة بما انَّكَ الهٌ. لا تعرِض عن الذين جبلتهم بيديك. بل اظهِر تعطُّفك للناس أيُّها الرحوم. واقبل والدتك والدة الإله متشفعةً من اجلنا. وخَلِّص يا مُخلِّصنا شعبًا مُؤَيَّسًا».

وفي إفشين القديس باسيليوس الكبير في صلاة الساعة التاسعة: « أيُّهَا السيّد الربّ يسوع المسيح الهنا الطويل الاناة على خطايانا. الذي اتيتَ بنا الى هذه الساعة الحاضرة. التي كنتَ فيها مُعَلَّقًا على العود المُحيي. وصنعتَ مَدخلًا للِّص الحسن الرأي الى الفردوس. وأبَدتَ الموتَ بالموت. إغفِر لنا نحنُ عبيدك الخطأة الخ...».

وكذلك طروباريات القيامة تُظهر عمل المسيح الخلاصي، فمثلًا اللحن الثالث: « لتفرح السماويات. ،تبتهج الارضيات. لأنَّ الرَّبَّ صنَعَ عِزًّا بساعده. ووطِيءَ الموتَ بالموتِ وصارَ بكر الأموات. وأنقذنا من جوف الجحيم. ومنح العالم عظيم الرحمةِ.»

وهذا غيضٌ من فيض

✚ ويُكمِل القديس كيرلُّس الكبير:

﴿إنَّ المبارك بولس نفسه أيضًا، قد فَهِمَ جيِّدًا ما قاله لنا المسيح الآن، لهذا يقول: «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ، اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ» (عب ٢: ١٤). لأنَّهُ لم يكن من طريقٍ آخر به يمكن أن يُباد ذاك الذي له سُلطان الموت، وكذا الموت نفسه، سوى أن يَبذل المسيح نفسه فِديةً لأجلنا، الواحد لأجل الجميع؛ لأنَّهُ كان فائقًا عن الجميع. لهذا يقول في المزامير أيضًا، مُقدِّمًا ذاته لأجلنا كذبيحة مقدَّسة وبلا عيب لله الآب: «ذبيحةً وتقدمةً لم تُرِد (يا الله)، لكن هيَّأتَ لي جسدًا، بمحرقات وذبائح خطيَّة لم تُسرَّ. حينئذ قُلتَ: هاأنذا جئتُ، بدَرْج الكتاب مكتوب عني، أن أَفعلَ مشيئتك يا إلهي سُررتُ» (مز ٣٩: ٦-٨ سبعينية)، لأنَّهُ لما كان «دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ» (عب ٩: ١٣)، لا يكفي لتطهير الخطيَّة، ولا كان حتى ذَبْح البهائم العجماوات كافيًا بالمرة أن يُبيد قوَّة الموت، فإنَّ المسيح نفسه جاء ليحمل حُكْم (الموت) لأجل الجميع. لأنَّنا «بِجَلْدَاتِهِ شُفِينَا» (إش ٥٣: ٥) كما يقول النبي أشعياء، «الذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ

خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ» (١بط ٢: ٢٤). وهو قد صُلِبَ **لأجل الجميع وبسبب الجميع**، حتى إنَّهُ إنْ «كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ» (٢كو ٥: ١٤)، **نحيا نحن جميعًا فيه**. لأنَّهُ لم يَكُن ممُكنًا أنْ «يُمْسَكَ مِنَ الْمَوْتِ» (أع ٢: ٢٤). ولا أنْ **يسود الفساد** على ذاك الذي هو **الحياة بالطبيعة**﴾.

القديس كيرلُّس الكبير يوضِّح هنا أنَّهُ بسبب أنَّ **الكلمة** فائقٌ على الجميع، أي **إله** الجميع، فكان يجب **لكي يُبيد الموت**، أن يُشارِك خليقَته في الجسد، لكي في هذا الجسد **يُبيد الموت**، لهذا يورد قول **بولس الرسول**: «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ، اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ» (عب ٢: ١٤). كما أنَّهُ يذكُر آية سفر المزامير بحسب الترجمة السبعينية: «ذبيحةً وتقدمةً لم تُرِدْ، لكن هيَّأتَ لي جسدًا» (مز٣٩: ٦-٨ سبعينية)، أي إنَّ **الله** لم يُسرَّ **بذبائح العهد القديم**، فهيَّأ جسدًا **لله الكلمة**، وهو الجسد الذي أخذه **من العذراء مريم**، ليبذل نفسه ذبيحةً عن خلاصنا.

«أيُّها الصليب الكلّي قُدسه، المُشَرَّف من الله المرتوي من مجاري الدم الإلهي. سَلِّم من الجوع والوباء ، الصارخين إليكَ بإيمانٍ.إفرح أيُّها الينبوع الفايض للكُلّ المجاري الخلاصيَّة.» (قانون الصليب الكريم).

جسدًا **لله الكلمة**: **«بما إنّ المسيح هو نفسه تامّ في الألوهة وتامّ في البشريّة، إلهٌ حقّ وإنسان حقّ. إنّه مساوٍ للآب في الألوهة ومساوٍ لنا في البشريّة، شبيه بنا في كلّ شيء ما خلا الخطيئة. قبل كلّ الدهور وُلد من الآب بحسب الألوهة، وفي الأيّام الأخيرة هو نفسه، لأجلنا ولأجل خلاصنا، وُلد من مريم العذراء والدة الإله، بحسب البشريّة. واحدٌ هو، وهو نفسه المسيح، ابن الله، الرَّبّ، الذي يجب الاعتراف به في طبيعتين متّحدتين دون اختلاط ولا تحوّل ولا انقسام ولم ينفصل إلى شخصين، بل واحدٌ هو، وهو نفسه الابن الوحيد، الإله الكلمة، الربُّ يسوع المسيح»**.

✚ ثم يُكْمِل **القديس كيرلُّس الكبير** تفسيره فيقول:

﴿ أمَّا كون **المسيح** قد بَذَلَ «جسده الخاص لأجل حياة العالم»، فهذا نعرفه من كلماته أيضًا التي يقولها: «أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ»، وأيضًا: «لأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي» (يو١٧: ١١-١٩). هو يقول هنا: إنه يُقدِّس نفسه في هؤلاء، ليس كأنه محتاجٌ للتقديس الذي بتطهير النفس أو بتطهير الرُّوح، كما نحتاج نحن، ولا كأنه محتاج لشركة **الرُّوح القُدُس**، لأن **الرُّوح القُدُس** كان فيه بالطبيعة، وهو كان ولا يزال وسيظل إلى الأبد قدوسًا. إنه هنا يقول: «أُقدِّس ذاتي في هؤلاء»، بمعنى: إني أرفع نفسي وأُقدِّمها كذبيحةٍ بلا عيب كرائحة ذكيَّة، لأنَّ ذاك الذي يُؤتَى به إلى المذبح الإلهي يتقدَّس، أو يُدعي حسب الناموس مُقدَّسًا﴾.

يوضِّح **القديس كيرلُّس الكبير** هنا أنَّ قول **الرَّبّ يسوع** إنه يُقدِّس ذاته، **لا يعني** أنه محتاجٌ لتقديس، والسبب يقوله ببساطة: إنَّ المسئول عن التقديس هو **الرُّوح القُدُس**، **والرُّوح القُدُس** كائنٌ في **الابن** منذ الأزل.

إذن للتقديس معنًى آخر هنا، وهو أنه يُقدِّس ذاته فينا.

✚ **كيف؟** هذا ما سيشرحه **القديس كيرلُّس الكبير**:

﴿لهذا بَذَلَ **المسيح** جسده الشخصي **من أجل حياة الجميع**، ليجعل الحياة تسكن مرَّةً أخرى فينا بواسطة جسده، **لكن كيف؟** هذا ما سأُحاول قدر طاقتي أنْ أَشرحه. لأنه منذ أنْ سَكَنَ **كلمة الله** المُعطي الحياة في الجسد، فقد حوَّلَه إلى صلاحه الذاتي الخاص به، أي الحياة، وبِاتِّحاده غير المنطوق به بالجسد، أي مجيئه الكامل في الجسد، قد جعله مُعطيًا الحياة، كما هو ذاته بالطبيعة واهب الحياة. لهذا فإنَّ جسد **المسيح** يُعطي حياةً لكلِّ مَن يشترك فيه. لأنه **يطرد الموت**، حين يأتي ويدخل إلى أُناسٍ مائتين، **ويُزيل الفساد**، إذ أنَّ جسده مُمتلئ بالكامل من **الكلمة** الذي **يُبيد الفساد**﴾.

هنا يُقرِّر **القديس كيرلُّس** قاعدة تَبَادُل الصفات بين اللاهوت والناسوت، فباتحاد اللاهوت الكامل بالناسوت، أعطى للناسوت أن يكون حاملًا من صفات اللاهوت، أي جعل الجسدَ مُعْطيًا الحياة. **«لأنَّ في المسيح طبيعتين متّحدتين دون اختلاط ولا تحوّل ولا انقسام ولا انفصال»**. ثم يُفسِّر **القديس كيرلُّس الكبير** كيف يصير الجسد مُعطيًا الحياة. يقول: إنَّهُ عندما يدخل هذا الجسد في أيِّ إنسان، أي عندما نتناول من جسد **الكلمة** فإنَّ هذا الجسد يطرد منَّا **الموت والفساد**، لأنَّهُ جسد **الكلمة**، وأنَّهُ، حسب تعبير **القديس كيرلُّس**: **مُتأجِّج بالكامل، أي مُمتلئ بالكامل بالكلمة**. أي كما يقول **القديس بولس الرسول**: «فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا» (كولُسي ٢: ٩). أي أنَّنا نتناول الجسد **الممتلئ بالكامل بالكلمة**، وهذا هو سبب **قوَّة الجسد الإلهي** الذي نتناوله كل يوم من على المذبح.

ليت **الرَّبَّ** يُنير أذهاننا لنفهم قوَّة هذا السِّرّ، ويُعطينا أن نكون مُستعدِّين دائمًا للشركة والاتحاد به، له كلُّ المجد في كنيسته. آمين.

سِرّ قيامة المسيح

تأمَّلنا في بدء تفسير **القديس كيرلُّس الكبير** على آية إنجيل يوحنا **(٦: ٥١)**: **«وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ»**. **ونستكمل الآن تفسيره لهذه الآية:**

﴿لكن قد يقول قائلٌ، مُثْبتًا عَيْن فهمه **على قيامة الذين رقدوا: إنَّ أولئك الذين لم يقبلوا الإيمان بالمسيح، ولم يصيروا شركاءه، لن يقوموا مرَّةً أخرى في زمن القيامة. ماذا؟ ألنْ يعودوا إلى الحياة ثانيةً، كُلّ الخليقة الساقطة في الموت؟**﴾.

هنا يتساءل **القديس كيرلُّس**: **ربما يقول شخصٌ ما: «هل كل الموتى سيقومون في القيامة الثانية** عند مجيء **الرَّب يسوع المسيح** ثانيةً من السماء؟»، «أَمْ سيقوم المؤمنون بالمسيح فقط؟»، أي: **«هل خليقة الله التي خلقها على صورته ومثاله سوف تقوم ثانيةً بعد أن تُفارِق هذه الحياة المؤقَّتة؟»** ،**« أَمْ مآلُها إلى زوال؟ خاصةً الذين لم يؤمنوا به ولم يكن لهم شركة معه!»**.

✙ ويجيب **القديس كيرلُّس الكبير** مُستشهِدًا **بسِفْر إشعياء النبي** حسب الترجمة السبعينية:

﴿ لكن نقول عن هذه الأشياء، أَجَل. كلُّ جسدٍ سوف يحيا ثانيةً، لأن كلمة النبوءة سبقت وأَخْبرت أَنَّ «أَلْمَوْتى سَيَقُومُونَ» (إش ٢٦: ١٩ سبعينية). لأنَّنا نعتَبِر أنَّ سرَّ قيامة **المسيح** يمتدُّ منه إلى كل **الطبيعة البشرية**، ونؤمن أنَّ فيه أَوَّلًا (أي في **المسيح**) قد تحرَّرت **كلُّ طبيعتنا البشرية من الفساد**. لأنَّ الجميع سيقومون، على مثال ذاك الذي أُقيم لأجلنا، الذي كان يملك الجميع فيه، لكونه قد صار إنسانًا﴾.

من تفسير **القديس كيرلُّس** يتَّضح أنَّ القيامة الثانية، أي القيامة للحياة الأبدية، لم تكن تحدث لولا قيامة **الرَّبّ يسوع** من بين الأموات، لأن **الطبيعة البشرية** عندما اتَّحدت به نالت فيه أَوَّلًا **الحرية من الفساد**. وهذا ما سبق وقاله في بداية تفسيره لهذه الآية: «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تحْتَ الْعُبُودِيَّةِ» (عب ٢: ١٤-١٥). وهكذا شمل سِرُّ قيامة **المسيح** كل **الطبيعة البشرية**. ولم يكن مُمكنًا أنْ نقومَ لولا أنَّنا كُنَّا فيه عند تجسُّده وعند قيامته، أو كما يقول **القديس كيرلُّس**: «لأن الجميع سيقومون على مثال ذاك الذي أُقيم لأجلنا، الذي فيه يملُك الجميع».

وهذا واضحٌ من رسالة **القديس بولس**: «هَكَذَا أَيْضاً قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ: يُزْرَعُ فِي فَسَادٍ وَيُقَامُ فِي عَدَمِ فَسَادٍ» (١كو١٥: ٤٢). فلولا أنَّنا نِلْنا **عدم الفساد** بسبب أنَّنا كنا في **المسيح**، ما كان مُمكنًا أن نقوم للحياة.

✙ ثم يقول **القديس كيرلُّس**:

﴿ وكما أنَّنا في **الإنسان الأول قد سقطنا في الموت**، هكذا في البِكْر، الذي صار (بِكرًا) لأجلنا، سوف يقوم الجميع مرَّة أخرى من **الموت**، ولكن كما هو مكتوب: «الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ» (يو٥: ٢٩)، وإني أُسلِّم بأنَّ **ما هو أكثر مرارة من الموت وبلا حدود هو القيامة للعقاب، واستعادة الحياة لنوال الخِزي وحده**﴾.

هنا يشرح **القديس كيرلُّس** أنَّ **آدم الأول** كان بِكْرَ **البشرية العتيقة**، أمَّا **الرَّبُّ يسوع** فقد صار بِكْرًا **لأجلنا**:

✝ **لقد دُعِيَ بِكْرًا في ميلاده**: «فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ» (لو٢: ٧)؛

✝ **كما دُعِيَ بِكْرًا بين إخوته**: «لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ، لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ» (رو ٨: ٢٩)؛

✝ ومقابل **آدم بِكْرِ الخليقة العتيقة**، دُعِيَ **المسيح** بِكْرَ الخليقة الجديدة: «الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ» (كو ١: ١٥)؛

✝ **والبكر من الأموات**: «وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ» (كو١: ١٨)؛

✝ **وهو نفس اللقب الذي استمر معه حتى في الأبدية، حسب ما جاء في سِفْر الرؤيا**: «ومِنْ يَسُوعَ المَسِيحِ الشَّاهِدِ الأَمِينِ، الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَرَئِيسِ مُلُوكِ الأَرْضِ. الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ» (رؤ١: ٥).

✙ بعد ذلك يوضِّح **القديس كيرلُّس** معنى **القيامة للحياة**، فيقول:

﴿ إذن، بمفهوم أَدَقّ، علينا أن نفهم الحياة الحقَّة بأنها: « الحياة في **المسيح**»، **في قداسة وغبطة وفرح لا يزول**. لأن هذه هي **الحياة حقًّا** التي يعرفها أيضًا **يوحنا الحكيم**، قائلًا: «الذي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، والَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً، بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ» (يو٣: ٣٦). لأنه هوذا، **ويا للعجب**، يقول:« والَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً»، رغم أنَّ كُلَّ مخلوق سيعود إلى الحياة مرَّةً أخرى، وسيقوم ثانيةً. لهذا من الواضح، أنَّ المُخلِّص قد سَمَّى بكل لياقةٍ تلك الحياة المُعَدَّة للقدِّيسين بأنها هي الحياة، أعني الحياة التي في مجد وقداسة، التي علينا أن نسعى وراءها، بقدومنا إلى **التناول من الجسد الواهب الحياة**، الأمر الذي لن يرتاب فيه كل عاقل﴾.

هذه هي **الحياة** كما أوضحها الكتاب المقدس، وكما شرحها **القديس كيرلُّس الكبير**: الحياة التي هي «**في المسيح**»، **وخارج المسيح ليس حياة**. لأنَّهُ «فِيهِ كَانَتِ الحَيَاةُ» حسب قول **القديس يوحنا** في إنجيله (يو١: ٤)؛ وأيضًا في رسالته الأولى: «وَهَذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهَذِهِ الحَيَاةُ هي في ابْنِهِ. مَنْ لَهُ الابْنُ فَلَهُ الحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الحَيَاةُ» (١يو ٥: ١١-١٢). وكيف تنتقل لنا الحياة التي في **المسيح**، لقد أوضحها **القديس كيرلُّس** بكل بساطة: «إنها الحياة، أعني الحياة التي في مجد وقداسة، التي علينا أن نسعى وراءها. ولكن كيف؟ بقدومنا إلى التناول من الجسد الواهب الحياة». أي بالشركة أو التناول من جسد **المسيح** المبذول من أجلنا، وشُرب دمه المسفوك من أجلنا. أليس هذا ما نقوله في أفاشين المطالبسي: «لترك الخطايا ولحياة ابديَّة ولتقديس نفسي وجسدي واستنارتهما وتقويتهما وشفائهما وصحتهما...» (**الافشين الخامس للقديس يوحنا الذهبيّ الفم**). أو كما قال ربنا **يسوع المسيح**: «هَذَا هُوَ خُبْزُ الحَيَاةِ الذي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ كَمَا أَكَلَ آبَاؤُكُمُ المَنَّ في البَرِّيَّةِ وَمَاتُوا؛ مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَحْيَا إلى الأَبَدِ، وأنا أُقِيمُهُ في اليَوْمِ الأَخِيرِ» (يوحنا:الاصحاح الخامس).

✝ خريستوس آنستي، المسيحُ قام ، حقًّا قام.

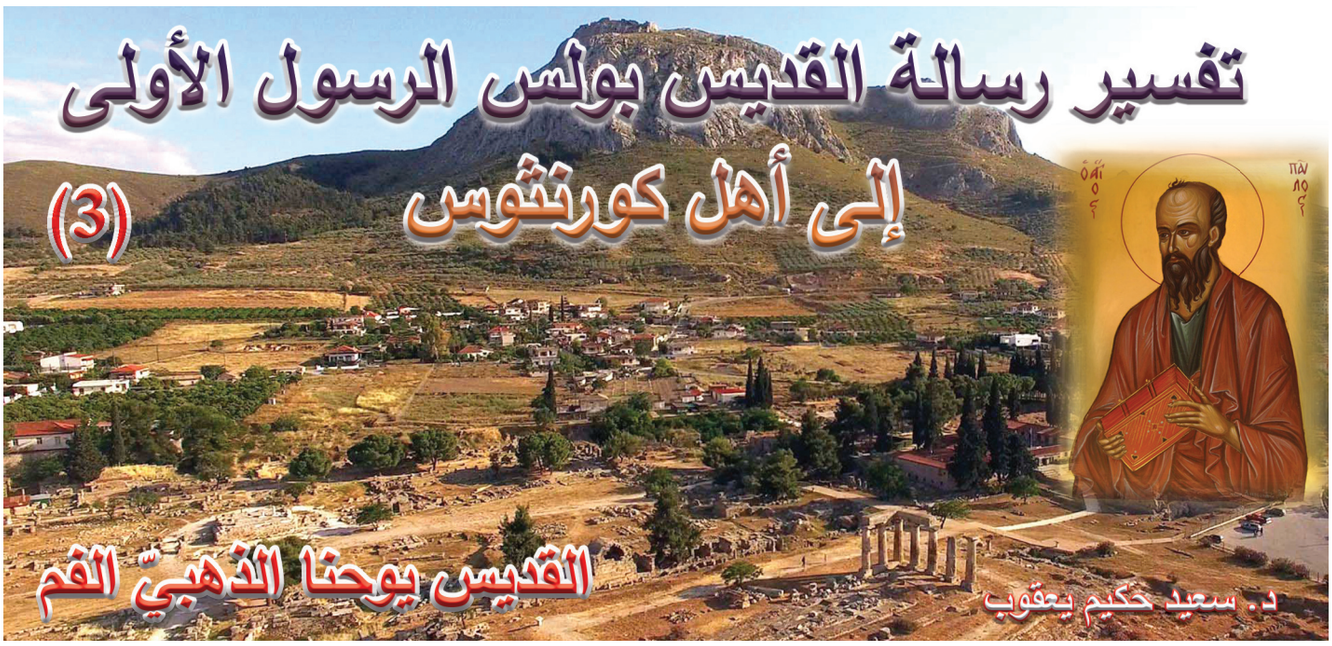

الإصحاح الأوَّل

العظة الثالثة : (١كو ١: ١٠–١٧)

«وَلكِنَّنِي أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ تَقُولُوا جَمِيعُكُمْ قَوْلاً وَاحِدًا، وَلاَ يَكُونَ بَيْنَكُمُ انْشِقَاقَاتٌ، بَلْ كُونُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ» (١كو ١: ١٠).

١ – هذا تحديدًا ما كان يقوله دومًا، لذلك فإنَّ **التوبيخ** هنا، يجب أن يصير تدريجيًّا وبهدوء، وهذا ما يفعله **الرسول بولس**، لأنَّهُ كان ينوي أنْ يدخل في موضوعٍ **شائك للغاية وشديد الخطورة**، وكان كافيًا **لتدمير الكنيسة من أساساتها**، وقد كَتَبَ إليهم برفقٍ أكثر. يقول إنَّهُ طلب إليهم وترجَّاهم، وقد طلب إليهم بآسم المسيح، وكأنَّهُ لا يكفي هو بمفرده أنْ يُوَجِّه لهم هذا الرَّجاء، لكي يُقنعهم. وماذا يعني بقوله: «**بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ؟**»، يعني أنَّهُ يأخذ المسيح محاربًا معه، ومُعينًا له، وهو يستخدم آسم المسيح، مع أنَّ هذا الاسم كان قد **أُدين، وآفتُرِيَ عليه وأُهين**، وذلك حتى لا يَرفُضوا (**أهل كورنثوس**) أنْ يسمعوه، **لأنَّ الخطيَّة تجعل الناس وقِحين وسُفَهاء**. من أجلِ هذا إنْ حدَثَ وَوَبَّخَتَ انسانًا مواجهةً وبطريقةٍ فَظَّةٍ، فالغالب أنكَ تجعله **عنيفًا وَوَقِحًا**، ولكن إن جعلته يخجل (بالّلين والرِّفق)، فعادَةً ما تجعله لا يرفع وجهَهُ، وتقضي على ثرثرته وكثرة كلامه، وتجعله يُخْفِض رأسه خَجَلًا. هذا بالضبط ما يطبِّقه **الرسول بولس** هنا، فهو أوَّلًا يطلب إليهم بآسم المسيح.

وما هو هذا الأمر الذي لأجله يطلب منهم ويترَجَّاهُم؟ هو «**أَنْ تَقُولُوا جَمِيعُكُمْ قَوْلاً وَاحِدًا، وَلاَ يَكُونَ بَيْنَكُمُ انْشِقَاقَاتٌ**». التأكيد على **الانشقاق، والاختلاف في الرأي**، كان وحدَهُ كافيًا للإدانة. لأنَّهُ **بالانشقاق** لن تُنْتَج أعمال كاملة من كُلّ الوجوه، بل يُفقَد الرأي الواحد في المسيح كما كان قبلًا. لأنَّهُ إذا كانت هناك كنائس تتصف بالكمال، فإنَّ النظام سيكون مُحكمًا، لكن إن **وُجِدَت انشقاقات**، فإنَّ الرأي الواحد **سيَتلاشى**، لأنَّهُ حين ينقسم الواحد المتكامل إلى كثيرين، فليسَ فقط أنَّ هذا الواحد سيُصبح أكثر، بل **سَيُدَمَّر** أيضًا، هذه هي **طبيعة الانشقاقات**. بعد ذلك ولأنَّهُ أدانَهُم بِشِدَّةٍ، وهذا واضح من خلال استخدامه لكلمة «**انْشِقَاقَاتٌ**»، يعود مرَّةً أُخرى يُخَفِّف ويُلَطِّف من حديثه، قائلًا: «**كُونُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ**». ولأنَّهُ قال: «**أَنْ تَقُولُوا جَمِيعُكُمْ**»، فهو يعني ألَّا تعتَقِدوا أنَّ التوافق والوِئام في الفكر والرأي يوجد فقط في القول أو في الكلام، لأنَّهُ يريد أنْ يكون الاتفاق والوئام في الفكر والرأي، ولكن لأنَّهُ من الممكن أنْ يكون هناك اتفاقٌ في الفكر (رأي واحد)، ولكن ليس في كُلّ الموضوعات، لأجل هذا أضافَ «**كُونُوا كَامِلِينَ**». إنَّ الذي يتَّحِد مع الآخرين في موضوعٍ ما، بينما في موضوعٍ آخر يُفكِّر بشكلٍ مُختلف، لا يُعتَبَر مُتَّحِدًا، وليس كاملًا في آتفاق الرأي.

إنَّهُ أمرٌ ممكنٌ أنْ يتَّفِق أحدٌ في فِكْرَةٍ ما دون أنْ يكون مُتَّفِقًا إطلاقًا مع **رغبته الداخليَّة**، على سبيل المثال بينما لنا نفس الإيمان، إلَّا أنَّنَا لسنا مُتَّحِدين بحسب المحبَّة، هكذا نتَّحِد بحسب الفِكر، لأنَّ لنا نفس الأفكار، إلَّا أنَّنَا لسنا كذلك بحسب **الرغبة الداخليَّة**. وهذا تحديدًا ما حدث آنذاك، لأنَّ واحدًا فضَّلَ هذا، والآخر فَضَّلَ ذاك. ولأجلِ هذا ينبغي أنْ نَتَّفِق في الفكرِ وفي الرغبةِ الداخليَّةِ، لأنَّ **الانشقاقات** لم تَحدُث بسبب الانقسام في الإيمان، بل بسبب الانقسامات الناتجة عن **الرغبات النفسيَّة المُتَباينة**، بسبب ميل الإنسان نحو **النزاع والتشاحُن**. لأنَّ المُتَّهم يَرفُض إدانته بوقاحة، حينَ لا يُؤتَى بشهود. أمَّا **الرسول بولس** فلأنَّهُ لم يُرِد أنْ يعترضوا على دفاعِهِ، أَتَى بشهودٍ، قائلًا:

«لأَنِّي أُخْبِرْتُ عَنْكُمْ يَا إِخْوَتِي مِنْ أَهْلِ خُلُوِي أَنَّ بَيْنَكُمْ خُصُومَاتٍ.» (١كو ١: ١١).

وهو لم يتكلَّم عن **موضوع الإدانة** مِنَ البداية، لكنه أشارَ إليها فيما بعد، بعدما تأكَّدَ إليهِ ما حَدَثَ من هؤلاء الذين أشارَ إليهم. فإنْ لم يَكُن قد حدث هذا (**أي الخصومات**)، ما كان له أنْ يُشير حتى إلى

الإدانة، لأنَّ **الرسول بولس** لم يَكُن لِيُصَدِّقَ هذا بسهولةٍ. إذًا فهو لم يبدأ الحديث بما أخبروه، حتى لا يبدو بأنَّهُ يُدينهم بسبب هؤلاء (**الذين أثاروا الخصومات**)، ولا ٱلتَزَمَ الصَّمتَ عن المعلومات التي حَصَلَ عليها من **أهل خلوي**، حتى لا يبدو أنَّهُ هو نفسه مصدر الإدانة. فهو يدعوهم أيضًا أُخوة، أي حتى وإنْ كانت **الخطيَّة واضحة وظاهرة**، فليس هناك شيء يمكن أن يُعيقه بعد، عن دعوتهم بالأخوة.

لاحِظ **حكمته وتعقّله**، فهو لم يُشِر إلى الشَّخص الذي أخبرَه بالتحديد، بل ذَكَرَ الأهل (**أهل خلوي**)، حتى لا يجعلهم أعداء لمن أخبَرَهُ، وهكذا حَمَى ذلك الشخص، وفي نفس الوقت أعلَنَ أو صَرَّحَ **بالإدانة**، لأنَّهُ لم يهدِف فقط إلى مراعاة مصلحة ذلك الشخص، بل أيضًا إلى الحرص على فائدتهم الخاصة (**المجموعات المتخاصمة**) . ولذلك لم يَقُل أُخْبِرْتُ مِنَ البَعض، بل قال: من «**أهل خلوي**»، حتى لا يُعتَبَر أنَّهُ ٱخترَعَ هذا الكلام من تلقاء ذاته. بماذا أُخْبِرَ؟ «**أَنَّ بَيْنَكُمْ خُصُومَاتٍ**.». إذًا عندما يُوَبِّخهم يقول: «**ولا يكونُ بينكم انشقاقات**»، ولكن عندما يَنْقُل كلامًا عن آخرين، فإنَّهُ يَذكُره بوداعة، قائلًا: «**أُخْبِرْتُ ... أَنَّ بَيْنَكُمْ خُصُومَاتٍ**.»، حتى لا يكون سببًا في **إثارة العداوة** ضدّ مَن أَخْبَرَهُ.

ثُمَّ يذكُر بعد ذلك **نوعيَّة الخُصومات**، قائلًا:

«فَأَنَا أَعْنِي هذَا: أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَقُولُ:«أَنَا لِبُولُسَ»، و«أَنَا لأَبُلُّوسَ»، وَ«أَنَا لِصَفَا»، وَ«أَنَا لِلْمَسِيحِ».» (١كو١: ١٢).

هنا يوضِح **الرسول بولس** بأنَّ **الخُصومات** التي يعنيها ليست هي الاختلافات حولَ مسائل خاصة، بل ما هو **أكثر خطورةً** من ذلك. يقول: « **كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ**». أي أنَّ **الفساد** لم يمتَدّ فقط إلى جُزءٍ من **الكنيسة**، بل امتَدَّ إلى **الكنيسة كلِّها**. وبالرغم من أنَّهم لا يختلفون حول شخصه، أو حولَ **شخص بطرس أو أبُلُّس**، إلَّا أنَّ هذا يُبيِّن أنَّهُ، إذا كان ألَّا يجب أن يعتمدوا ويستَنِدوا إلى هؤلاء، فبالأكثر جدًّا يجب ألَّا يعتمدوا على آخرين. أي أنَّهم ولا بالنسبة لهؤلاء قد اختلفوا، هذا ما يقوله فيما بعد في رسالته: «فَهذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ حَوَّلْتُهُ تَشْبِيهًا إِلَى نَفْسِي وَإِلَى أَبُلُّوسَ مِنْ أَجْلِكُمْ، لِكَيْ تَتَعَلَّمُوا فِينَا:«أَنْ لاَ تَفْتَكِرُوا فَوْقَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ» (١كو٤: ٦). لأنَّهُ إن كان يجب ألَّا يستخدموا أسماء كُلٌّ من **بولُس، وأبُلُّس، وَصَفَا**، لخدمة مَصلَحتهم، فبالأكثر جدًّا يجب ألَّا يستخدموا أسماء آخرين.فإنْ كان ينبغي ألَّا يجعلوا المعلِّم – الذي هو هامة الرُسل والذي مَلَكَ على قلوبِ شعبٍ بهذا الكَمّ – **مِلْكًا** لهم، **وخاصًا** بِهم، فبالأكثر جدًّا ألَّا يستخدموا ٱسم مَنْ لا قيمةَ له. فنظَرًا لأنَّهُ كان أمرًا مُلِحًّا بالنسبة له، أنْ يُخَلِّصهم من هذا المرض، فإنَّهُ قد أورَدَ هذه الأسماء. فَضلًا عن ذلك فقد جَعَلَ كلامه مُفْرِحًا من خلال عدَم الإشارة إلى **مُثيري الانقسامات** في الكنيسة بالاسم، بل لم يَكْشِف عنهم، مُستخدمًا أسماء الرُسل كأشخاص « «**أَنَا لِبُولُسَ**»، و«**أَنَا لأَبُلُّوسَ**»، وَ«**أَنَا لِصَفَا**».

٢ – لقد ذَكَرَ **بُطرس في النهاية**، لا لأنّه يَعتبر نفسه أسمى من **بُطرس**، بل بالعكس، لأنه يَعتبر **بُطرس** أعظَم منه. أي أنَّهُ يتقدَّم هكذا في حديثه بحسب الأمر الأكثر أهميَّة، حتى لا يُعْتَبَر أنَّهُ يصنع هذا بسبب **الحَسَد** أو ينزع عن هؤلاء الكرامة بسبب **الحَسَد** أيضًا. لذلك **وَضَعَ نفسه أوَّلًا**، فمن يلوم نفسه أوَّلًا، لا يفعل هذا، لأنّه يشتهي الكرامة، بل لأنَّهُ **يحتقر** هذا النوع من المجدِ **احتقارًا تامًّا**. إذًا فهو ذاته يتقَبَّل كُلّ الهجوم بأن يُشير بنفسه في التصحيح والاصلاح، وخاصَّةً بالنسبة للأمور التي كان يجب ألَّا توجد بكلّ تأكيد.

إنَّ كُلّ الذين انحازوا لهذا أو ذاك، قد **أخطأوا**، وحسنًا قد أَدَانَهُم بقوله إنَّهم لم يسلكوا باستقامة، قائلًا: «**وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَقُولُ: أَنَا لِبُولُسَ، وأَنَا لأَبُلُّوسَ، وَأَنَا لِصَفَا**». ولكن لماذا أضافَ وَ«**أَنَا لِلْمَسِيحِ؟**». لأنّه إنْ كانَ أولئك الذين انحازوا لبَشَرٍ قد أخطأوا، فبالطبع إنَّ كُلّ مَنْ كَرَّسَ حياته **للمسيح** لم يُخطيء. لكنه لم يُدِنْ هذا، أي لأنَّهم جعلوا **المسيح** خاصتهم هم فقط، بل لأنَّ الجميع لم يجعلوهُ هو وحده خاصَّتهم. أعْتَقِد أنَّ **الرسول بولس** قد عبَّرَ عن رأيهِ الخاص في ذلك، لأنَّهُ أرادَ أنْ يعرض هذه **الخطيَّة بِثِقَلِهَا**، وهكذا يُظهر أنَّهُ حتى بالنسبة **للمسيح**، فقد أصبَحَ محصورًا في مجموعةٍ من المسيحيين، حتى وإنْ كان أولئك لم يفعلوا هكذا تحديدًا، لأنّه خلال الكلمات التالية، قد أوضَحَ ذلك بتعبير غير مُباشِر قائلًا:

«هَلِ انْقَسَمَ الْمَسِيحُ؟ » (١كو ١: ١٣).

ما يقوله يعني الآتي: أنَّكم تُقَسِّمون **المسيح**، وتُجَزِّئون جسده. أرأيت مقدار **هذا الغضب، والتأنيب، والتوبيخ المُوَجَّه لهم**؟ إنَّهُ لا يُقَدِّم أَدِلَّةً، بل يتساءَل فقط، وهو يفعل ذلك لأنَّهم اعترفوا بالفعل بمُمارسة ما هو غير لائق. وقد ادَّعَى البعض أنَّ **الرسول بولس** يقصد شيئًا آخَرَ حين يقول: «**هَلِ انْقَسَمَ الْمَسِيحُ؟**»، أي قَسَّمَ الكنيسة بين الناس، وأَخَذَ هو نفسه قسمًا، وأعطَى هؤلاء قِسمًا آخَرَ. ثُمَّ نَجده بعد ذلك يعمل على إزالة كُلّ ما هو غير لائق، وكُلّ ما يقود إلى الشَّر، قائلًا:

«أَلَعَلَّ بُولُسَ صُلِبَ لأَجْلِكُمْ، أَمْ بِاسْمِ بُولُسَ ٱعْتَمَدْتُمْ؟» (١كو١: ١٣).

إنتبه **للفكْر المحب للمسيح**، وكيفَ أنَّ كُلّ شيء يُرْجِعهُ إلى ٱسم **المسيح**، مُبَرْهِنًا بكُلّ وضوح على أنَّ هٰذه الكرامة لا تتعلَّق بإنسان أو منسوبة لإنسانٍ ما. ولكي **لا يُظهر** وكأنَّه يقول هٰذه الأمور **مدفوعًا بالحسد**، نجده دائمًا ما يُشير إلى نفسه. ولاحظ مدى **تَعقُّلِه**، فهو لم يَقُل أَلَعلَّ بولس خَلَقَ العالم؟ هل بولس أعطاكم الحياة؟ بل إنّه شَدَّدَ فقط على كُلّ ما فيه امتيازات، ويحتاج إلى كثيرٍ من الانتباه والحِرْص، أي الصليب، والمعموديَّة، والخيرات التي تنبثق منها، لأنَّ **محبَّة الله للإنسان**، يُبَرهَن عليها خَلقُهُ للعالم، لكن وبالأكثر أيضًا الغفران الذي أعلَنَ عنه بالصليب.

لَمْ يَقل أَلَعَلَّ بولس **مات لأجلكم**؟، بل قال: «**أَلَعَلَّ بُولُسَ صُلِبَ لأَجْلِكُمْ؟**». إنَّه يُحدِّد هنا **نوعيَّة الموت**. ثُمَّ يقول: «**أَمْ بِاسْمِ بُولُسَ اعْتَمَدْتُمْ؟**» ولم يَقُل أَلَعَلَّ بولس **قد عَمَّدَكُمْ**، لأنَّهُ عَمَّدَ البعض، لكن لم يَكن هذا هو المُهِم، أي مَنِ الذي عمَّدَهُم، بل بٱسم مَنْ تَعَمَّدوا.

لأنَّ هذا صارَ سببًا في الانقسام، أي يُسَمُّون المؤمنين بٱسم أولئك الذين عَمَّدوهُم، لذلك فهو يُصَحِّح هذا الوضع قائلًا: «أَمْ بِاسْمِ بُولُسَ اعْتَمَدْتُمْ؟». أي أنَّهُ يقول: لا تَقُل لِي مَنْ عَمَّدَك، بل بٱسم مَنْ تَعَمَّدتَ، إنَّ المطلوب ليس ٱسم الذي عَمَّدَ، بل ذاكَ الذي دُعِيَ ٱسمه عليكم في المعموديَّة، لأنَّهُ هو الذي يغفر الخطايا. لقد توَقَّفَ في كلامه عند هذا الحدّ، ولم يتقدَّم في حديثه فيما بعد إلى ما هو أبعد من ذلك، لأنَّهُ لَمْ يَقُل أَلَعَلَّ بولس قد وَعَدَكُم بخيرات الدهر الآتي؟ أَلَعَلَّ بولس قد وَعَدَكُم بملكوت السموات؟

لكن لماذا لم يُضِف هذه الأمور؟ لأنَّ الوَعدَ بالملكوت لا يُعادل الصَّلبَ، لأنَّ الأوّل (أي الملكوت)، لا يتضَمَّن خَطَرًا، ولا يحمل في طيَّاتِهِ أي نوع من الاستهزاء والتَّهَكُّم، لكن الصليب يحمل هذا. فضلًا عن ذلك فإنَّ الأمور المتعلِّقة بملكوت الله يُبرَهَن عليها من خلال الأمور المُختَصة بالصَّلبِ، إذ يقول: «اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟» (رومية ٨: ٣٢). أيضًا يقول: «لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ!» (رومية ٥: ١٠). لأجل هذا السبب لَمْ يُضِف تلك الأمور الخاصة بملكوت السموات، لأنَّ بعض الأشياء لم تكُن في حوزتهم بعد، إلَّا أنهم كانوا قد تَذَوَّقوها، والبعض الآخر كان لا يزال وعودًا.

ثُمَّ يقول: «أَشْكُرُ اللهَ أَنِّي لَمْ أُعَمِّدْ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلاَّ كِرِيسْبُسَ وَغَايُسَ» (١كو ١: ١٤).

لماذا تتباهون لأنَّكُم تُعمِّدون، بينما أنا على العكسِ أشكر الله، لأنَّني لم أفعل هذا؟ فمن جهة هذا الأمر هو ينزع عن نفسه وبكلِّ تصميم بأنَّهُ كان يُعَمِّد، كما أنَّهُ لم يتحدَّث عن قُوَّةِ المعموديَّة، بل عن **حماقة التباهي** بمُمارَسة المعموديَّة، أوَّلًا أظهَرَ أنَّ هذه العطيَّة ليست له، فهو يشكر الله، لأنَّ المعموديَّة أمرٌ عظيم، ولكن غير أنَّ الذي يجعلها عظيمة ليس الذي يُعَمِّد، بل الذي بٱسمِهِ يعتمد الناس. إنَّ المعموديَّة تتطلَّب جُهدًا قويًّا وأساسِيًّا من جانب الإنسان، ولكنها أسهل بكثير من الكرازة. أي أنَّها عظيمة وبدونها مستحيل أن ينال الإنسان الملكوت، إلَّا أنَّ ذلك يمكن أن يُحَقِّقه إنسان، لكن ليس بهذا القدر من الجُهد والشجاعة التي تتطلَّبها الكرازه.

من الرسالة الفصحيَّة الخامسة للقديس أثناسيوس الكبير. 15أبريل 333م

لقد جاء مرَّةً أخرى الوقت الذي يجلبنا إلى بداية جديدة تُعلن عن **الفصح المبارك** الذي فيه قدَّم الرَّبُّ ذبيحة، إنَّنا نأكله بكونه طعام الحياة، ونتعطش إليه مبتهجة نفوسنا به كل الأزمان كأنه يفيض بدمه الثمين.

✝ إنَّنَا نشتاق إليه على الدوام شوقًا عظيمًا وقد نطق مخلصنا بهذه الكلمات في حنو محبته موجِّهًا حديثًا إلى العطشى إذ يريد أن يروي كل عطشان إليه قائلًا «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ.» (يو٧ ٧:٧). ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ أنَّهُ إذا جاءه أحد يروي عطشه فحسب، بل عندما يطلب إنسان يعطيه **المخلص** بفيض زائد مجانًا، لأن نعمة الوليمة لا يحدُّها زمنٌ معيَّنٌ ولا تنقص عظمة بهائها، بل هي دائمًا قريبة تضيء أذهان المشتاقين إليها برغبة صادقة، لأنَّ في هذه الوليمة فضيلة دائمة يتمتَّع بها ذوو العقول المستنيرة المتأمِّلين في الكتاب المقدس نهارًا وليلًا، مثل الرَّجُل الَّذي وُهِبَ نعمه كما جاء في المزامير «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ المنَافِقِين وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ. لكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلاً.» (مز١ ١:١-٢). لأن مثل هذا لا تضئ له الشمس أو القمر أو مجموعة الكواكب الأخرى بل يتلألأ بِبَهاء الله الذي فوق الكلّ.

مفهوم عيد القيامة عند القديس أثناسيوس الكبير

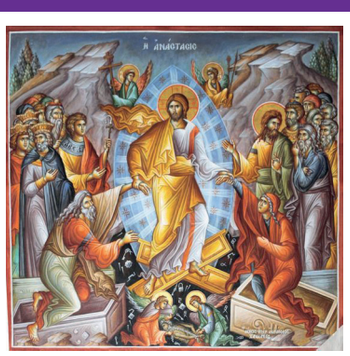

✝ الأعياد في نظر الكنيسة يختلف مفهومًا عنه المفهوم الموسوي ففي القديم كانت الأعياد رموزًا تهدف نحو تعلُّق الأنفس بمجيء الرَّبِّ يسوع الذي هو «العيد الحقيقي».. أمَّا الآن وقد جاء الرَّبُّ وتمتعنا به فالعيد لا يحمل رمزًا بل يحمل حياة مع الرَّبِّ.

✝ يسوع فادينا هو عيدنا إذ هو فرحنا وبهجة قلوبنا لذلك نحن نعيِّد به في كل وقت وفي كل مكان، لكن إنْ كانت الكنيسة المقدسة قد رتبت أوقاتًا للعيد فهذا لا يحمل فيه رمزًا أو ظلالا أو حرفًا كما في القديم إنما بالعيد:

١- تذكرنا بأن يسوع هو عيدنا.

٢- تذكرنا بعمل الله معنا فنشكره ونسبحه.

٣- لنحيا ببركات الرَّبِّ «عيدنا».

٤- تشوقنا إلي العيد الأبدي «الحياة الأبدية».

٥- كفرصة للتوبة والرجوع..

Χριστός Ανέστη المسيح قام

التطويبات

طوبى للمساكين بالرُّوح (3)

طوبى للمساكين بالرُّوح

المؤلِّف: هو الأب أنتوني م. كونياريس كاهن يخدم في كنيسة القديسة مريم اليونانيّة (الروميَّة) الأرثوذكسيَّة في مينيابوليس،في الولايات التحدة الأمريكيَّة، وهو يتميَّز بغيرة رسوليَّة حارَّة. كان مسئولًا عن العمل الأرثوذكسي الطلابي بجامعة مينيسوتا حيث كان يخدم في المجمع الاستشاري الديني. وقد نجحَ من خلال كتاباته في جعل الروميَّة الأرثوذكسيَّة للشباب رسالة ذات تقليد حيّ، تتقبَّل كُلّ ما هو حقيقي وجميل، وترفض كُلّ ما هو زائف وفاسد.

التواضع الآن، يعفيكَ من أن توضَع غدًا:

وصَفَ **السيّد المسيح** التواضع بهذا المثل قائلًا:

«مَتَى دُعِيتَ مِنْ أَحَدٍ إِلَى عُرْسٍ فَلاَ تَتَّكِئْ فِي الْمُتَّكَإِ الأَوَّلِ، لَعَلَّ أَكْرَمَ مِنْكَ يَكُونُ قَدْ دُعِيَ مِنْهُ. فَيَأْتِيَ الَّذِي دَعَاكَ وَإِيَّاهُ وَيَقُولَ لَكَ: أَعْطِ مَكَانًا لِهذَا. فَحِينَئِذٍ تَبْتَدِئُ بِخَجَلٍ تَأْخُذُ الْمَوْضِعَ الأَخِيرَ. بَلْ مَتَى دُعِيتَ فَاذْهَبْ وَاتَّكِئْ فِي الْمَوْضِعِ الأَخِيرِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الَّذِي دَعَاكَ يَقُولُ لَكَ: يَا صَدِيقُ، ارْتَفِعْ إِلَى فَوْقُ. حِينَئِذٍ يَكُونُ لَكَ مَجْدٌ أَمَامَ الْمُتَّكِئِينَ مَعَكَ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ» (لو ١٤: ٨-١١).

من الأفضل أن تُعطي قدرًا لذاتك ويثبت العكس، من أن تُعطي لذاتك **حجمًا أكبر**، ويثبُت العَكس. تَعَلُّمُكَ التواضع يُجَنِّبُكَ **الخزي** فيما بعد، «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ» كما قالَ **يسوع**.

سُئِلَ **مار إسحق السُّوري**: «**ما هو الكمال؟**»

فأجابَ: «**إنّهُ عُمق التواضع**».

كتَبَ **القديس يوحنَّا الدُرجي (السُلَّمي)**: «**التوبة ترفَع الإنسان، وبُكاؤُهُ على خطاياه يقرَع باب السَّماء، والتواضع المُقَدَّس يفتحُها**».

وكتَبَ في مكانٍ آخر:

«**الإنسان الذي يسعى إلى الله طالبًا أقَل ممَّا يستحق، سَيُعطَى أكثَر، كما أظهَرَ العشَّار الذي طلبَ الغفران، لكنه حصَلَ على الخلاص.** (لو١٨: ١٠-١٤)، **واللّص سأل المسيح أن يتذكَّرَهُ في الملكوت، ولكنه ورِثَ كُلّ الفردوس**» (لو ٢٣: ٤٣).

الخراف والجداء:

قصَّة

ملحوظة:(طيبة، المعروفة لدى المصريين القدماء باسم واست (مدينة الصولجان)، كانت مدينة مصرية قديمة تقع على طول نهر النيل على بعد ٨٠٠ كيلومتر جنوب البحر الأبيض المتوسط. تقع أطلالها داخل مدينة الأقصر) .

روَى لنا **آباء البريَّة** هذه القصة ليوَضِّحوا لنا المَسْكَنة بالرُّوح.

حضَرَ قومٌ ذاتَ مرَّةٍ إلى أحد الشيوخ في طيبَة وأحضروا معهم رجُلًا به **روحٌ شرِّير** كي يُخرجه **الشيخ**، وبعد صلاةٍ كثيرة قال **الشيخ** مُخاطبًا **الرُّوح الشرِّير**: «**أُخرُج من هذا الشخص الذي خَلَقَهُ الله**».

فأجابه **الشيطان**: «**سَأخرُج بعد أن أسألك سؤالًا وأنتَ تُجيبني: مَنْ هُم الجداء ومنْ هُم الخراف**».

فأجابه **الشيخ**: «**إنَّ الجداء في الحقيقة هُم أمثالي، أمَّا الخراف فيعرفها الله**».

فعندما سمع **الشيطان** هذا الكلام صرَخَ صرخَةً عظيمة وقال: «**من أجل هذا الكلام المملوء اتضاعًا سأخرج**». وخَرَجَ من تلك الساعة.

فبِاعترافنا بأنَّنا **جداء خاطئة**، نُعطَى المجال لنعمة الله كي تكون عاملة في حياتنا.

يُقرّر **بول إفدوكيموف** (**كان عالم لاهوت و فيلسوف، من مواليد يوم ١٥ اغسطس ١٩٠١ في سانت بطرسبورج، رقَدَ في ١٦ سبتمبر ١٩٧٠**) أنَّ التوبة هي أيضًا صورة من صُوَر المَسْكَنَة، فكلاهُما يَبْقَيان كوحدة واحدة، والقوَّة النابعة منهما تستطيع أن تشفي القوَّة المتَمركزة **حول الذَّات وحبّ الذَّات أو عقدة النَقص.**

يقول **القديس يوحنَّا الدُرجي (السُلَّمي)**:

«**إنَّ الله يُقَدِّر توبتنا، ليسَ بمقدار جُهدنا، بل بمقدار مَسْكَنَتِنا**».

قالَ أحدهم: « أنا أعرف لماذا عاشَ يسوع بين الفقراء، ولماذا أصبح فقيرًا مسكينًا، فذلك لكي يخدم الجنس البشري، فالمساكين وحدهم هم الأغنياء في الرحمة، وهم وحدهم الذين ليسَ لهم أي ممتلكات؛ لا شيء سوى الشُكر، وبلا شيء سوى الله».

يسوع هو مثال للمساكين بالرُّوح:

ربنا **يسوع المسيح** هو المثل الأعلى للتواضع، فقد قال: «تَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ» (متى ١١: ٢٩). وقد أخبرنا أنَّ الله غير المحدود، متواضع.

كتَبَ **مار إسحق السُّوري**:

«التواضع هو وشاح الألوهة، فإنَّ الكلمة المتجسِّد تسربَلَ به، ومن خلاله تكلَّمَ معنا في الجسد الذي أخذه منَّا، فكُل مَنْ يتسرَبل بِهِ يتشبَّه حقًّا بذاكَ الذي ٱنحَدَرَ من عُلُوِّهِ وغَطَّى فضيلة عظمته بالتواضع، وستَرَ مَجدَهُ به كي لا تلتهب الخليقة بمنظره، لأنَّ الكلمة لو لم يتجسَّد بجسدٍ بشريٍّ ما ٱستطاعت الخليقة أن تَرَاهُ. وكلّ مَنْ يرتدي ذلك الوشاح الذي ٱرتداهُ الخالِق يكون قد ارتدى المسيح نفسه لا الوشاح الذي ظهر به لِخَليقتِهِ. وَأَحَبَّ أن يلبَسهُ لإنسانه الداخلي ويظهر به لعبيدِهِ الذين تشبَّهَ بهم».

الله متواضع:

عندما ظهَرَ **يسوع لمريم المجدليَّة** بعد القيامة، لم يظهر في ثوب ملك أو كاهن، ولا بِحُلَّةٍ ملائِكيَّةٍ منيرة، بل في ثوب بُستاني يحمل الصفات غير المشكوك فيها للبستاني، ولذلك قيلَ عندما ظهر لها **يسوع** بعد القيامة أنَّهُ لم يظهر بمجد لاهوتِهِ، بل في شخص بستاني متواضع.

هذا ما ترتّله **كنيستنا الرّوميّة الأرثوذكسيَّة في أحد الفصح المجيد**:

«إنَّ مريم المجدليَّة تقدَّمت مُسرعة الى القبر. فنظرت المخلِّص فسألَتْهُ كَأَنَّهُ البستانيّ» (تعظيماتٌ: تُرتَّل على طروباريات الأوديَّة التاسعة باللحن الأوّل).

كأي عامل في محلّ النجارة، لم يذهب **المسيح** إلى عَمَلِهِ ببدلةٍ فاخرة، ولكن بالتأكيد كانت له ثياب قديمة خاصَّة بالعمل مثل التي يلبسها العمال الآخرون، ومع ذلك **فهو الله** وكان **ربَّ** كُلّ القلوب.

الله متواضع لأنَّهُ محبَّة، ومحبَّته جعلته متواضعًا في شخص **يسوع**، ولذلك لا يجعلنا التواضع ننفتح على **الله** فقط، ولكنه يعطينا أيضًا أنْ نلبس **المسيح، الله** المتواضع. **القديس بطرس الرسول** يَحُثّنا ويقول: «تَسَرْبَلُوا بِالتَّوَاضُعِ» (١ بط ٥:٥).

بالرغم من أنَّه الله، لم يستنكف من غسل أرجل تلاميذه:

إنَّ التطويبات لهيَ في الحقيقة صفات **يسوع** الشخصيَّة. إنَّهُ الذي يجب أنْ نذهب إليهِ لنجد الشخص الذي هو: «مسيكنٌ بالرُّوح» بكل وأعمق معنى للكلمة، فقد كان مسكينًا بالرُّوح إلى المنتهى، حتى أنَّهُ في يومٍ ما ٱتَّزَرَ بمنشفة وغَسَلَ أرجُل تلاميذِهِ: «وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللهِ يَمْضِي، قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا، ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَلٍ، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَّزِرًا بِهَا.» (يو١٣:٣-٥). وكان يعرف **جوهره الإلهيّ**، وكان أيضًا يَعِي أنَّهُ سيذهب ليجلس عن يمين **الله** أبيه، كي يُعطَى **الاسم الذي فوق كُلّ اسم**، ومع ذلك فقد ٱتَّزَرَ بمنشفة وغَسَلَ أرجُل تلاميذِهِ. هذه هي المَسْكَنة الحقيقيَّة، فقد أخذَ منشفة لكي يُرينا كيف نمشي في طريق الاتضاع.

أنا بينكم كالخادم:

في الرسالة إلى أهل فيليبي (٢:٦-١١) نقرأ: «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ.».

وفي **إنجيل القديس لوقا** نقرأ: «أَنَا بَيْنَكُمْ كَالَّذِي يَخْدُمُ.» (لو ٢٢:٢٧)، وحتَّى بالنسبة لكونه إنسانًا كان يمكنه أنْ يشعُر بالفخر والاعتزاز، لكنه كان يعمل بيدِهِ كعامل بسيط في قرية غير معروفة.

كتَبَ **باسكال** يقول:

«إنَّ يسوع عاشَ في قرية مغمورة ولذلك فإنَّ مؤرِّخي تلك الأيام كتبوا عن الأحداث السياسيَّة وبصعوبة لاحظوا يسوع نفسه».

لم يحسب خلسة أن يكون معادلًا لله:

كتبَ **بولس الرسول** في رسالته إلى أهل فيلبي يقول: «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ» (في٢:٦). **المسيح** دائمًا هو **الله** الذي: «لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ.» (في ٢:٧)، ولكن من الذي أرادَ أن يغتصب لنفسِهِ المساواة لله؟ إنَّه **الشيطان**، **وآدم** أيضًا عندما أخبَرَهُ **الشيطان** أنَّهُ سيُصبِح مثل **الله**. **فخطيئة آدم وحواء** لم تَكُن الأكل من الثمرة، بل **شهوةَ أنْ يكونا مُعادِلَيْن لله**. اشتهَيَا شيئًا لم يكن لهُما، فقد رَفَضَا طبيعتهما كمخلوقَيْن محدودَيْن وَحَاوَلَا أن يُصبِحَا شيئًا لا يستطيعانِ أنْ يَمْلُكَاه: الألوهة.

ولكن **المسيح** الذي هو بطبيعته **الله**، لم يحسب خلسة أن يكون معادلًا لله، بل جعل نفسه لا شيئًا، واخلَى نفسه آخذًا صورة عبدٍ من أجلنا، ولم يَسعَ لتحقيق إرادَته الخاصة بل مشيئة **أبيه**، ولم يسعَ لتكونَ له حياته الخاصة، ولكنه أراد أن يُعطي حياته فِديَةً عنَّا، ولم يطلب مجده بل مجد **أبيه**.

كتَبَ **فولتين شين** (**فولتون جيه. شين: كاتب من مواليد يوم ٨ مايو ١٨٩٥ في أل باسو، مات يوم ٩ ديسمبر ١٩٧٩**.) ذات مرَّة يقول:

«إنَّ الأرض لَفَظَت ربما، لذلك الذي وُلِدَ تحت الأرض لأنَّ المذود كان في مغارة. ولأنَّهُ وُلِدَ في مغارة، فكل من يُريد رؤيته عليه أن ينحَني ويتنازل، والتنازل هو علامة الاتضاع، بينما المتشامخ يرفض التنازل، لذلك يفقد رؤية الله».

يجب على المرء أن **يُطَوِّب** كُل من خَدموا الله وأنْ يتمثَّلوا بهم، لسببين:

أوَّلًا: لأنَّهم وضعوا كُلّ رجاء خلاصهم في الصلوات المقدَّسة.

ثانيًا: لأنَّهم حفظوا ما كتبوه في التسابيح والعبادات التي قدَّموها لله بِرعدة وفرح، ناقلين لنا بذلك **كنوزهم الرُّوحيَّة** هذه، جاذبين كُلّ الأجيال التالية إلى غيرتهم المقدَّسة.

فمن الطبيعي أن ينتقل سلوك المُتَعَلِّمين بسلوك المعلِّمين وفضائلهم حتى نحيا في صلاة وعبادة لله وتفكير دائم في إرادته. فالحياة والغِنَى والسعادة هي أن نُصَلِّي لله بنفس نقيَّة **غير دنسة**، فكما أنَّ الشمس هي نور لعيني الجسد، هكذا الصلاة هي نور للنفس. فإنْ كانت تُعتبر خسارة فادحة ألَّا يَرى الأعمى الشمس، فكم بالحريّ تكون الخسارة عندما لا يُصَلِّي المسيحي دائمًا، **أو لا** يُقَدِّس نفسه بنور المسيح بواسطة الصلاة ؟!.

كيف لا يندهش ويَعجَب الإنسان لهذه المحبة التي أظهرها الله لنا مانحًا إيَّانا كرامةً كبيرة حتى جعلنا مُستحقين أنْ نُصَلِّي إليه ونتحدَّث معه؟

حينما نُصَلِّي فإنَّنا نتكلَّم مع الله آخذين طبيعة الملائكة، وبهذا يتضح أننا نختلف كثيرًا عن **الحيوانات غير العاقلة**.

فإنْ كانت الصلاة هي عمل الملائكة، إلَّا أنَّ الصلاة في ذاتها هي أعظم من الملائكة. إنَّ حديثنا مع الله هو عمل يفوق عمل الملائكة: وكون الصلاة هي أمرٌ يفوق الملائكة، فهذا نعرفه من منهم، عندما يقدمون صلواتهم في خوف ورِعدة، مُعطين إيَّانا إمكانية أن نعرف ونتعلَّم أنَّهُ عندما نُقدِّم صلاة إلى الله، فيجب أن تكون **بمخافةٍ وفرح**. فَمِن ناحية نقدمها بمخافةٍ معتبرين أنفسنا غير مستحقين أن نتحدَّث مع الله. ومن ناحية أُخرى نقدِّمها **بملء الفرح** بسبب ما أعطانا من **كرامةٍ عظيمة**، إذْ أنَّ **جنسنا البشري الفاني**، قد نالَ مثل هذه النعمة العظيمة حتى أنَّهُ يتمتَّع دائمًا بالحديث مع الله والذي من خلاله نتجاوز وضعنا كمائتين وزائلين.

فمن جهة، إنَّنا بحسب الطبيعة **مائتون**، ومن جهةٍ أُخرى فإنَّنا ندخل إلى الحياة الأبديَّة بالحديث مع الله. ونحنُ نثق أنَّ مَنْ يُصَلِّي إلى الله **يرتفع فوق الموتِ وكلّ فساد**.

وكما أنَّنا عندما نتمتَّع بنور الشمس لا نكون في ظلام، هكذا عندما نتمتَّع بالحديث إلى الله عن طريق الصلاة، فلا نكون بعد في **حالة فساد**، وبسبب عِظَم هذه الكرامة الموهوبة لنا، فإنَّنا نَعبُر إلى الحياة الأبديَّة.

إنَّ كُلّ الذين يتحدَّثون إلى الملك يأخذون كرامة منه. ولا يمكن أن يبقوا بعد فقراء. وبالأكثر جدًّا فإنَّ أولئك الذين يُصَلُّون إلى الله ويتحدَّثون معه لن تكون لهم **نفس فاسدة**، فهذا أمرٌ مستحيل. **فموت النفس هو في عدم التقوى والانغماس في الخطيّة**. وعكس ذلك فإنَّ انتعاش النفس هو في الصلاة إلى الله، وهذه الصلاة تنعكس على السلوك الرُّوحي.

إذن فحياة البِرِّ والصلاة تُنير نفوسنا وتُغنيها بأُسلوب فائق.

أَيَجِبُ أحدٌ البتوليَّة؟ أَيُريدُ أحدٌ أنْ يُكَرِّم العفَّة داخل الزواج؟ أَيُريدُ أحدٌ أن يكبح غضبه وأنْ يُعامل رفيقه بلُطْفٍ وَرِقَّةٍ ؟ أَيُريدُ أن يكونَ نَقيًّا مِنَ الدَنَسِ؟ أَيشتَهِي أحدٌ الأمور المستقيمة؟

فالصلاة هي التي تجعلنا نَسمُو، وهي التي تَصقل حياتنا، وتجعل طريق التقوى أسهل وأَيسَر. لِأَنَّهُ عندما نطلب من الله **عفَّة أو قَداسة أو وَداعة أو كَرامة**، فلا يمكن أبدًا أن تذهب طلباتنا سُدًى. يقول الكتاب: «اِسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ.» (متى ٧:٧). وأيضًا يقول: «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ.» (لو١١:١٠)، وفي موضعٍ آخر يقول: «فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ؟» (لو١١:١٣). واضح من هذا الكلام وبهذا الرَّجاء أنَّ **الرَّبَّ** يحثّ الجميع على الصلاة. ونحنُ من جانبنا يجب أنْ نَخضع لله وأنْ نعيش دومًا بالتسابيح والصلوات وأنْ نهتمَّ جدًّا بالصلاةِ لله. وبهذا نستطيع أن نحيا الحياة التي تليق **بالإنسان**. والنفسُ التي لا تُصَلِّي، ولا تشتهي أنْ تتمتَّع بالعشرة الدائمة مع الله هي نفس **بلا حياة وهي غير حكيمة**.

أيوجَد بُرهان **على الجهالة أكثر من هذا** – عندما نتجاهل حجم هذه الكرامة التي صارت لنا بالصلاة؟ **أَلَا تعرف أنَّ الموت الحقيقي للنفس هو عدم** الصلاة إلى الله؟

إنَّ جسدنا يصير مَيِّتًا عندما تُغادره النفس ويصير نَتِنًا. هكذا فإنَّ

النفس عندما لا تتَّجه للصلاةِ تكون **مائتة وتَعسة ونتنة**. فَتَجاهُل الصلاة هو **الموت بعينه**. وهذا ما علَّمنا إيَّاهُ النبيّ **العظيم دانيال** الذي فَضَّلَ أن يموت على ألَّا يُحرَم من الصلاة، ولو لثلاثة أيام. لأنَّ **ملك الفُرس** لم يأمره أنْ يُجدِّف، لكن فقط راقبه ثلاثة أيام ربما يصلِّي إلى إلهه وليس إلى الملك. (أنظر سفر دانيال الإصحاح العاشر).

عندما تفارقنا القوَّة **الإلهيَّة** يختفي كُلّ صلاح من نفوسنا. في حين أنَّ قوَّة **الله** تحتضن أتعابنا وتُيَسِّرُهَا وذلك عندما يرانا **الله** مُحبين للصلاة ومنتظرين الخيرات السماويَّة على الدوام.

إذن فعندما أرَى شخصًا غير مُحبٍّ للصلاة ولا تحترق نفسه شوقًا إليها، فيتضح لي أنَّ هذا الإنسان لا يملك في نفسه شيئًا **من الكرامة**. وعندما أرَى شخصًا مُتعَطِّشًا للصلاة، وَيَعتَبر أنَّ الإهمال الدائم للصلاة هو من الأمور المُميتة للنفس، أستنتج أنَّهُ يحيا كُلّ فضيلة وهو هيكل حقيقي **لله**.

الإنسان المتعقِّل يظهر من سلوكه: كيف يَتَزَيَّن، كيف يَمشي، كيف يفتح فاهُ ويضحك. كما يقول **سليمان الحكيم**. بالأكثر فإنَّ الصلاة والسجود **لله** هي علامة القداسة الكاملة، هي الزينة **الإلهيَّة** والروحيَّة التي تنشر البهاء والجمال الفائق في إنساننا الداخليّ، وَتُهَذِّب حياة كُلٍّ منَّا. ولا تَدَع أي شيء **غير لائق** أن يسود داخلنا، مُقنعة إيَّانا أن نهتم بالأمور **الإلهيَّة** أكثر من أي شيء آخر، وتعلِّمنا أن نطرُد **كُلَّ حِيَل الشِّرير**، مُلْقِينَ كُلّ الأفكار **غير اللائقة**، وتجعل نفوسنا رافضة **للمُتَع الشّريرة**.

هذا هو افتخارنا الذي يُكَلِّل كُلّ مَن يُؤمن **بالمسيح**. هو **ألَّا نُستَعبَد لأيِّ شيءٍ مُضِلٍ**، وأن نحمي نفوسنا في حريَّة وحياة تَقويَّة نقيَّة.

يتضح لي إذن وهو أَمرٌ جَليّ لكلِ أحد أنَّهُ لا يصحّ أن يحيا الإنسان بدون صلاة وفضيلة، وأنَّ الصلاة تُكَمِّل مسيرة الحياة.

لكن كيف يمارس الإنسان الفضيلة لو لم يأتِ ويُلقِ بنفسه على واهب الفضيلة ومانحها ؟، وكيف يشتهي أحدٌ أنْ يكون **عفيفًا ونقيًّا** دون أنْ يتكلَّم بفرح مع ذلك الذي يطلب منَّا هذه الأمور وأمورًا أُخرى أكثر منها!، وأُريد أنْ أُخبركُم إنَّنا إنْ كُنَّا **ممتلئين بالخطايا** فإنَّ لقاءنا مع **الله** بالصلاة سوفَ يُطهِّرنا بسرعة من **هذه الخطايا**.

أيُّ شيء أعظم وأفضَل من الصلاة – فهي الدواء الفعَّال لكل مرض داخل النفس. **فأهل نينوى قديمًا غُفِرَت خطاياهُم بالصلاة أمام الله**، لأنَّهم عندما داوموا على الصلاة – صاروا أنقياء. والمدينة التي كانت مشهورة **بالفجور والشُّرور وحياة العبث**، تحوَّلَت جذريًّا بالصلاة – منتصرة على العادات القديمة، **وتزيَّنت بالشَّرائع السماويَّة مزدانة بالعفَّةِ ومحبَّةِ الناس، واللطف والعناية بالفقراء**. لأنَّ الصلاة لا يمكن أن تُلازم النفس دون أنْ تُؤثِّر على كُلّ سكان المدينة. وهي أيضًا عندما تسكن نفس الإنسان تملأه بالتقوى، وَتُنَمِّيهِ في الفضيلة طارِدَةً **الشَّرّ خارجًا**.

لهذا لو أنَّ شخصًا ما دخلَ **مدينة نينوى** وكان يعرفها جيِّدًا مِنْ قَبل، فإنَّهُ سوفَ **لا يعرفها** بعد توبتها. هكذا تحوَّلت المدينة فجأة من تلك الحياة **غير اللائقة** إلى حياة التقوى. مثل امرأة فقيرة كانت تلبس ملابس **ممزَّقة** بالية لو رآها أحدٌ فيما بعد مُزَيَّنة بملابس ذهبيَّة، سَيَجِد صعوبة في التعرُّفِ عليها. هذا ما حدثَ مع هذه المدينة.

لأنَّ من يعرف فقر المدينة **وخلوُّها** من كنوز الرُّوح، سوفَ لا يعرف أي مدينة هذه التي يراها الآن، والتي استطاعت الصلاة أنْ تُغيِّرها بهذا الشكل، وأن تقود سلوكها وحياتها نحو الفضيلة. فالمرأة التي قضَت حياتها في الفجور والزِّنى حصلت على خَلاصها بمجرَّد أن وقعت على أقدام **المسيح**. إنَّ الصلاة لا تُطَهِر النفس فقط، لكنها أيضًا **تَصُدُّ عنها أخطارًا كثيرة**. فعلى سبيل المثال، أنَّ **الملك والنبيّ الرائع داود** أُنقِذَ من حروب كثيرة ومُخيفة بواسطة الصلاة. وهي الوسيلة الوحيدة التي قدمها لجيشه كسلاحٍ مؤكدًا لجنوده للحصول على الانتصار دون أنْ يتحرَّكوا أو يبذلوا جُهدًا. الملوك الآخرون اعتمدوا في آمالهم للحصول على النَصر، على **خبرة ضباطهم وعلى ضاربي السِّهام المشاة والفرسان**. بينما نَجِد **داود العظيم** قد بنَى جيشه بالصلوات المقدسة غير مكترث بغرور ضُبَّاطه ولواءاته وفُرسانه، وغير جامعٍ للأموال ولا صانع للأسلحة، ولكنه أَحضَرَ قوَّات سماويَّة من السماء إلى الأرض – وهذه الأسلحة الإلهيَّة الحقيقيَّة – هي الصلاة والملاذ الوحيد لأولاد **الله**.

إنَّ قوَّة ودراية المسلَّحين وضَاربي السِّهام، وخبراتهم ومكرهم تُظهر مِرارًا أنَّها أمورٌ باطلة أمام الشجاعة التي يُظهرها الطرف الآخر.

في حين أنَّ الصلاة هي السلاح الرُّوحي، والحماية الأكيدة التي تَصُدّ ليس مُحاربًا واحدًا، بل ألوية كثيرة. هكذا فإنَّ **داود العظيم** عندما أتى إليه **جُليات مثل شيطانٍ مُخيفٍ** طَرَحَهُ أرضًا لا بسلاح ولا بسيف لكن **بالصلاة**.

فكما تمثِّل الصلاة سلاحًا قويًّا بالنسبة للملوك في المعارك، هكذا تمثِّل لنا أيضًا سلاحًا قويًّا **ضدّ مُحاربة الشياطين**. إنَّ **الملك حزقيا** هزَمَ **الفُرس في الحرب** دون أن يُسَلِّح جيشه، لكنه وقَفَ للصلاة في مقابل جموع مُحاربيه. وهكذا تجنَّبَ الموت إذ أنَّهُ ارتمى بِوَرَعٍ وخشوعٍ في أحضان **الله**، وأعطَى مرَّةً أُخرى حياة للمملكة بالصلاةِ فقط.

فكون الصلاة تُطَهِّر **النفس الخاطئة**، فهذا ما علّمنا إيَّاهُ **العشَّار** الذي طلبَ من **الله الغفران** وأخذَهُ، وعلَّمنا إيَّاهُ أيضًا **الأبرص** الذي شُفِيَ على الفور بمجرَّد أنِ ارتمى في أحضان **الله**.

فإنْ كان **الله** قد شَفى الجسد الفاني في الحال، فإنَّه بالحريّ قادرٌ بمحبَّته **للإنسان** أن يشفي **النفس المريضة** ويُصَيِّرها أفضَل. لأنَّهُ بقَدرِ ما للنفسِ من قيمة أفضَل من الجسد بقدر ما يُبدي **الله** اهتمامًا أكبر نحوها.

يستطيع الإنسان أن يتحدَّث عن أُمورٍ كثيرة قديمًا وحديثًا لو أراد أن يُعَدِّد أولئك الذين أنقذتهم الصلاة. وربما أنَّ شخصًا **من المتهاونين** الذين لا يُقَدِّمون صلواتهم بِاهتمام وحِرصٍ يستند إلى كلام **الرَّبّ**: «لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (متى ٧: ٢١).

فلو كنتُ أقول أنَّ الصلاة وحدها تَكفي لخلاصنا، لكان من الممكن قبول هذا الاعتراض. لكني أقول إنَّ الصلاة هي باب الخيرات، أساس

ومنبع الحياة الفاضلة. إذن لا يستطيع أحدٌ أنْ يُبَرِّر تهاونه بهذا المفهوم الخاطىء. فلا العفَّة وحدها تستطيع أنْ تُخَلِّص بدون باقي الفضائل، ولا رعاية الفقراء وحدها، لكن يجب أن تجتمع الفضائل كلّها معًا داخل النفس، وتكون الصلاة هي أساس ومنبع **الفضائل كلّها**. وكما أنَّهُ يلزم لتثبيت المنزل، أن يكون أساسه متينًا وقويًّا. هكذا فإنَّ الصلاة تُشَدِّد حياتنا وتُقوّيها. لهذا فإنَّ **القديس بولس** يوصي بالصلاةِ كُلّ حين: «وَاظِبُوا عَلَى الصَّلاَةِ سَاهِرِينَ فِيهَا بِالشُّكْرِ» (كولوسي ٤: ٢). وفي موضعٍ آخر يقول: « صَلُّوا بِلاَ انْقِطَاعٍ.اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، لأَنَّ هذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَتِكُمْ.» (١ تسالونيكي ٥: ١٧-١٨). وفي موضعٍ آخر يقول: «مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُواظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ» (أفسس ٦: ١٨). هكذا يدعونا **عميد الرُسل** بكلام متنوّع إلى الصلاة.

إذن وَوَفقًا لهذا التعليم المُقَدَّم من **الرسول بولس**، يجب علينا أن نُكْمِل مسيرة حياتنا بالصلاة. وبهذه الصلاة المستمرَّة نَسُدُّ عطش إنساننا الداخلي. لأنَّنا جميعًا مُتعطِّشون للارتواء ليسَ بأقل من احتياج الأشجار للمياه.

فكما أنَّ الاشجار لا تستطيع أن تُثمر إنْ لم ترتَوِ من جذورها، هكذا نحنُ لا نستطيع أن نُقَدِّم الثمر الثمين الذي للتقوى، إن لم نَرتَوِ بالصلاة. لهذا يجب أن نستيقظ ونبدأ صلواتنا **لله** مُبكِّرين مع كُلِّ شروقٍ للشمس. وأن نُصَلِّي كُلّ حين.

في وقت الشتاء علينا أن نقضي الجزء الأكبر من المساء في الصلوات وأن نحني رُكبنا وبِرِعدَةٍ كثيرة نلهج في التضرُّع. هكذا نصير مغبوطين إذ نعبد الله.

أخبرني كيف تنظر للشمس إن لم تسجد لذاك الذي يُرسل لعينيك هذا النور الباهر؟ ، كيف تتمتَّع بالمأكولات إن لم تسجد لواهب ومُعطِي كُلّ هذه الخيرات؟ ، وكيف ستعيش يومك حتى المساء؟

وأيّ أحلام سترى (أثناء الليل) إن لم تُحَصِّن نفسك بالصلوات. كيف تذهب للنوم بدون قَلَقٍ؟ فإنَّ **الشياطين المتربِّصة** ستزدري بِكَ **وتقتنصك بسهولة**، هؤلاء الذين يجولون بلا هوادة لترويعنا واقتناص الضعفاء الذين لا يتسلَّحون بالصلاة. لكن لو واظبنا على الصلاة، فإنَّهم سيضمحلّون كالبخار سريعًا. لكن لو ابتعد الإنسان عن حياة الصلاة، فإنَّ **الشياطين ستدفعه نحو الشُّرور والمتاعب والنكبات**.

فلنحترس إذن من هذه الأمور، ولنَبْنِ أنفسنا بالصلوات والتسابيح **وإله** الجميع يرحمنا ويجعلنا مستحقين لملكوت السموات **بابنه الوحيد** الذي به ومعه يليق له المجد والقوّة إلى الأبد الآبدين.

السيِّدة يعكوفو، من شارع إيفيياس ٣٢، أنثوبوليس لَكَتَامِيَّاس – نيقوسيا – قبرص ، تكتب لنا (**الكلام موجَّه الى دير ماليقي العامر للرُّوم الأرثوذكس**).

والدتي التي كانت مريضة، قضت قرابة شهرٍ من الزمان في المستشفى، جرَّاءَ إصابتها بمرض الهربس وهو مرضٌ مُعدٍ.

بعد حصولها على الطِّيبِ المقدَّس من دير العذراء ماليقي للروم الأرثوذكس في أركاديا – بيلوبونيسوس في اليونان، رُشِمَت والدتي بشكل صليب بقطعة القطن هذه المبلولة من الطيب المقدّس، وهي تصرخُ بإيمانٍ حارّ وبلجاجة: «يا عذراء ماليقي أشفيني».

قطعة القطن هذه المبلولة بالطِّيبِ المقدّس، وبعد استعمالها يوميًّا، نشفَت ولم يبقَ فيها من الطِّيبِ أيُّ شيءٍ، فوضعت القطنة داخل المخدة حيث تنام.

استمرَّت والدتي بالصلاة والتضرُّع طلبًا لشفاعة العذراء. وهي تقول بقوَّة كبيرة: «يا عذراء ماليقي أشفيني».

وفي إحدى المرَّات التي أرادت بها الصلاة، يا للعجب قد حدثت العجيبة، لقد وجدت القطنة الجَّافة، قد امتلأت بالطيب المقدَّس، وللتوِّ شعرت بالشفاء من مرضها (الهربس).

شكرًا جزيلًا **لوالدة الإله الدائمة البتوليَّةِ مريم**، وبعيونٍ دامعة نمجِّد ونوَقِّر **عذراءنا مريم من دير ماليقي** لهذه العجيبة الكبيرة التي صنعتها معنا نحن الخطأة الأذلاء.

يا شفيعة المسيحيين غير الخائبة، الواسطة لدى الخالق غير المردودة، لا تعرضي عن أصوات طَلِباتنا نحنُ الخطأة، بل بادري الى اغاثتنا نحنُ الصَّارخين اليك بإيمانٍ، بادري الى الشفاعة وأسرعي في الطلبة، يا والدة الإله، المتشفعة دائمًا بمُكرِّميكِ.

الفصل السادس عشر

فكتب له نكتاريوس رسالة موجعة ومأساويَّة نوردها كاملة:

«إلى قداسة رئيس أساقفة القسطنطينيَّة في روما الجديدة، والبطريرك المسكوني، كيريوس كيريوس يواكيم الثالث.

بكامل الاحترام أُرسِل إلى قداستكم نسخة عن الرسالة التي بعثتها إلى غبطة بطريرك الإسكندريَّة كيريوس كيريوس فوتيوس، فَضلًا عن نُسَخ القرارات الثلاث التي أصدرها البطريرك صفرونيوس، وفيها يُعلِمني بأنَّهُ أقالني من مهامي في بطريركيَّة الإسكندريَّة، وأنَّهُ يحلّـني من مسؤولياتي ويصرفني كأبسَط كاهن رعيَّة. ويطردني دون محاكمة أو دفاع، كما هو ظاهر في محتوى القرارات.

وقد كتبتُ رسالة إلى غبطة بطريرك الإسكندريَّة فوتيوس أطلب فيها منه أن يرفع عنِّي هذا الظُّلم مُعيدًا إلَـيَّ حقوقي. إلَّا أنَّ غبطتَهُ الذي تَسَلَّمَ رسالتي منذ أحد عشر شهرًا بالضبط، يعتبر بأنِّي لا استحق الردّ عليها. وإذ أتعَجَّب من هذا التصرُّف، أجِدُ من واجبي الالتجاء إلى قداستكم الـمُـوَقَّرة لِأَطلُبَ رأيكم الحكيم ونصيحتكم في ما يجب عمله. وقد كان الهدف الأساسي لرسالتي إلى قداسة بطريرك الإسكندرية فوتيوس، أن يُتمَّ تسوية وَضعي كأُسقُف في كنيسة الشرق الروميَّة الأرثوذكسيَّة. وأن تُـبَـلَّغ هذه التسوية إلى السُلطات الاكليريكيَّة التي أنتمي إليها. لأنِّي الآن وبعدَ عَزلِي، لا أنتمي إلى أيَّـة كنيسة مستقلَّة. وبعد أربعة عشر عامًا من تأدية مهامِّي الرسميَّة في اليونان، ما زال المجمع الـمُقَدَّس يعتبرني أُسقُفًا عابرًا. وهو أمرٌ تجهله الملفات الاكليريكيَّة حتى اليوم: أي وجود أُسقف معزول لا ينتمي إلى أيَّـةِ كنيسةٍ. وفي اقتناعي أنَّـهُ يستحيل على قداستكم وعلى أيِّ خبير في القانون الكَنسي الاعتراف بصحة هذا الوضع والموافقة عليه. وأَجِدُ أيضًا من واجبي التوَجُّه إلى قداستكم، كوني أتبع ولايتكم كما يظهر في وثيقة سِيَامَتِي شمَّاسًا التي تجدونها مُرفقة ربطًا. وأنا على يقين بأن قداستكم يرغب بتسديد الـنُصح إليَّ، والعمل على تسوية وضعي كأُسقف في كنيسة الشرق الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة.

وفي النهاية أُقَـبِّل يدكم اليُمنى المقدَّسة باحترام طالبًا بركتكم»

نكتاريوس، أُسقف المدن الخمس

وقد وَجَدَ **يواكيم** نفسه في موقفٍ حَرِجٍ جدًّا، وفي خَطَرٍ مُحدِق من جميع الجوانب: كان **البطريرك الثالث** الذي يَعرض عليه نكتاريوس قضيَّته المأساويَّة، وكان هو الأعلَى في التراتُبيَّة بين الثلاثة. فشعَرَ بنفسه تضعف، ولم يتمكَّن من إيجاد الحلّ ولم يتنازل إلى حدِّ أنْ تتلوَّث يداه. والحقيقة أنَّهُ لكي يحلّ المشكلة، كان مضطرًا لمواجهة **فوتيوس وجماعته كلّها التي تدور حول كرسي الإسكندريَّة كالأُفعوان المتعدد الرؤوس.**

فوَجَدَ **يواكيم** نفسه عاجزًا. وفكَّر بأنَّ الوقت غير مناسب للجدل والشجار، فمن وراء **فوتيوس** كانت هناك **أولغا**، ومن وراء **أولغا القيصر** الذي يتمتَّع **بكامل السلطة**. وفي النهاية أرسَلَ رجُلًا موثوقًا ليحمل إلى «هذا الأخ العزيز في الأُسقفيَّة» كامل «تحياته البطريركيَّة الحارَّة»، ونصيحتة بالبقاء في **منصب إدارة المدرسة**. إذ ليس ما يمنع أن يشغل منصب موظَّف حُكومي. وأن يتحلَّى بالصبر لبعض الوقت أيضًا.

وفيما بعد، وعندما حدثت قضيَّة «**قدامى كاثوليك لندن**»، توسَّطَ نكتاريوس من أجل **إعادتهم إلى الأرثوذكسيَّة**. فكتَبَ إليه **يواكيم** رسائل فيها الكثير من المحبة، ودعاه « الأخ العزيز، ورفيق التواضع».

وأخيرًا أحَسَّ نكتاريوس بالارتياح: لقد قامَ بكل ما يجب عمله. وفيما تبقَّى له من سنوات العمر، فإنَّهُ لن يهتم بطريقِهِ، بل **المسيح** هو الذي سيهتم به كما كان الأمر منذ البداية، وفي كُلِّ لحظة.

ولا شَكَّ في أنَّ وضعه كان سيِّئًا جدًّا: انَّه رجل دين أرثوذكسي وأُسقف ذو ماضٍ لا غُبار عليه، لكنه لا يتمتَّع بأي منصب رسمي في أيِّ مكان من الكنيسة.

ومن المُؤَكَّد أنَّ **الرَّبَّ** العليّ يرى كُل ذلك من سمائه ... لذلك فالأمر غير مُهم. إنَّ ما يراه **الرَّبُّ** قد عاشه بنفسِهِ أوَّلًا يوم قَدَّمَ ذاته تضحية من أجل خلاص **العالم السَّاقط**: «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ.» (يو ١: ١١). وبحسب حكمته وضعَ خطة **لكلِّ إنسان** آتٍ إلى هذا العالم، والويل لمن يحاول التهرُّب منها لاتِّباع طُرُقٍ أُخرى.

أخيرًا أحَسَّ نكتاريوس بالارتياح الكلّي: لم يَكُن مُعَدًّا للمناصب الأُسقفيَّة ولا للمسؤوليات الكُبرى. فمنذ الآن وحتى نسمته الأخيرة، سوف يعتبر نفسه مبتدئًا، في إطار **روح الطَّاعة المسيحيَّة**. وأيَّة نعمة كُنَّا نجد في روح الابتداء! فما هو السبب الذي أدَّى **إلى سقوط** نصف السموات فوق هذه الأرض، **وطَرد** ملائكة نور ورؤساء ملائكة وملائكة؟.

لندع جانبًا الإرادة الشخصيَّة والأنانيَّة، فالأفضل أن يكون المرء عاملًا بسيطًا في خدمة **الكلمة الإلهيَّة**.

عجائب القديس يوحنا الرُّوسي

في أحد **مستشفيات أثينا**، أمٌّ جالسة نهارًا وليلًا بجانب سرير آبنها الصغير. لقد أخذ والدا الطفل الصبي بسرعة الى المستشفى في **مدينة باتراس** لأن المرض الذي كان يعاني منه لمدة طويلة الذي هو **شلل الرجلين صار سيِّئًا فجأة**. وفي المستشفى قال الأطباء مرة أخرى كما في السنين الماضية أن سبب حالته هو **نقص في الكالسيوم في جهاز الطفل**.

في أحد الأيام بعد الظهر بينما كانت الأشعة الضعيفة للشمس الغاربة تُضيء المستشفى تذكرت الأم كيف تعودت أن تذهب الى **كنيسة صغيرة لوالدة الإله** في بلد خارج **مدينة باترا** لتضيء **قناديل زيت الكنيسة** بعض الأوقات، وكان في بعض الأحيان يصحبها زوجها أو أولادها. وإذ تذكّرت هذه الكنيسة بدأت تصلي: «يا قديستي مريم، أيَّتُها الأم الحلوة التي أيضًا عانت الألم ساعدي ولدي. يا قديسة مريم أرسلي لي قديسًا. أنظري إلى صغيري يُجاهد ليقف على قَدَمَيْهِ. ساعدي ابني المضروب بالوجع».

«أمي ماذا تقولين؟ مع من تتكلمين؟».

«يورغو، يا صغيري، ألا تذكر أنك قرأت في الأناجيل في المدرسة أنّ ربنا **المسيح** عندما عاش في فلسطين شفى هؤلاء الممسوسين من الشياطين وفتح أعين العميان وجعل المشلولين يمشون وأقام الموتى؟ **قُل له يا صغيري يورغو**، فهو سيسمعك لأنك ولد صالح. قُل لمسيحنا الصالح أن يجعلك معافىً».

تطلّع الولد المعاق إلى والدته ببراءة ثم حَوَّل نظره إلى غروب الشمس ثم إلى السماوات وما وراءها. بعد منتصف الليل، رأى يورغو الصغير في حلمه **فارسًا وسيمًا راكبًا على حصان ضخم**. توقف **الفارس أمامه** وقال: «**يورغو، انهض واقفز على حصاني**».

«لكني مشلول لا أستطيع المشي، ورجلاي لا تحملانني».

رُفات القديس يوحنّا الروسي المحفوظة في كنيسة في بلدة بروكوبي – إيفيا اليونان

«**أعطني يدك يورغو الصغير. اصعدْ على حصاني. أنا القديس يوحنا الروسي. وقد أرسلني الرَّبُّ لكي أعطيك نعمته الإلهية وأشفيك بقوته**».

وبينما هو بين النوم واليقظة، كان الصبي يحاول أن يقف. استيقظت أمّه وأمسكته كي لا يقع من سريره، فقال لها: «**أمسكيني يا أمي فإن القديس يوحنا الروسي قال لي أن أقف**».

وفي صباح الغد، عندما حضر الطبيب الأخصائي، أخبره عاملو النوبة الليلية أنَّ الصبي الذي من **باترا** قد مشى خلال الليل، فجاء وفحصه. ثم قرع ركبتي الصبي بمطرقته الصغيرة ووخز رجليه بإبرة فاستجابت أوصاله بشكل طبيعي. عندها قال الطبيب للأم: «اذهبوا إلى البيت، الله معكم».

بصلوات وشفاعات القديس يوحنا الرُّوسي أيُّها الربُّ يسوع المسيح إرحمنا وخلِّصنا . آمين.

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
12-726-111122